عادل ابو شنب

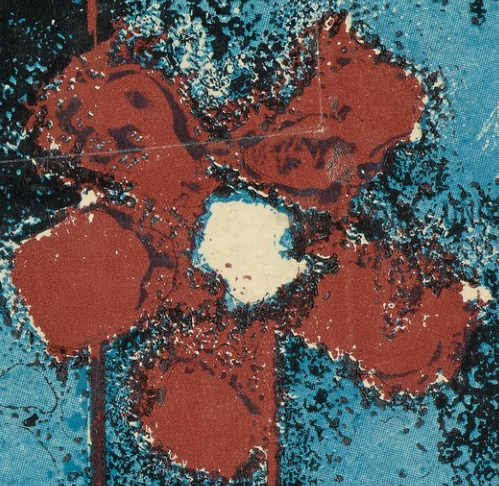

زهرة سوداء في القطب

BOBST LIBRARY
3 1142 01242 6048

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

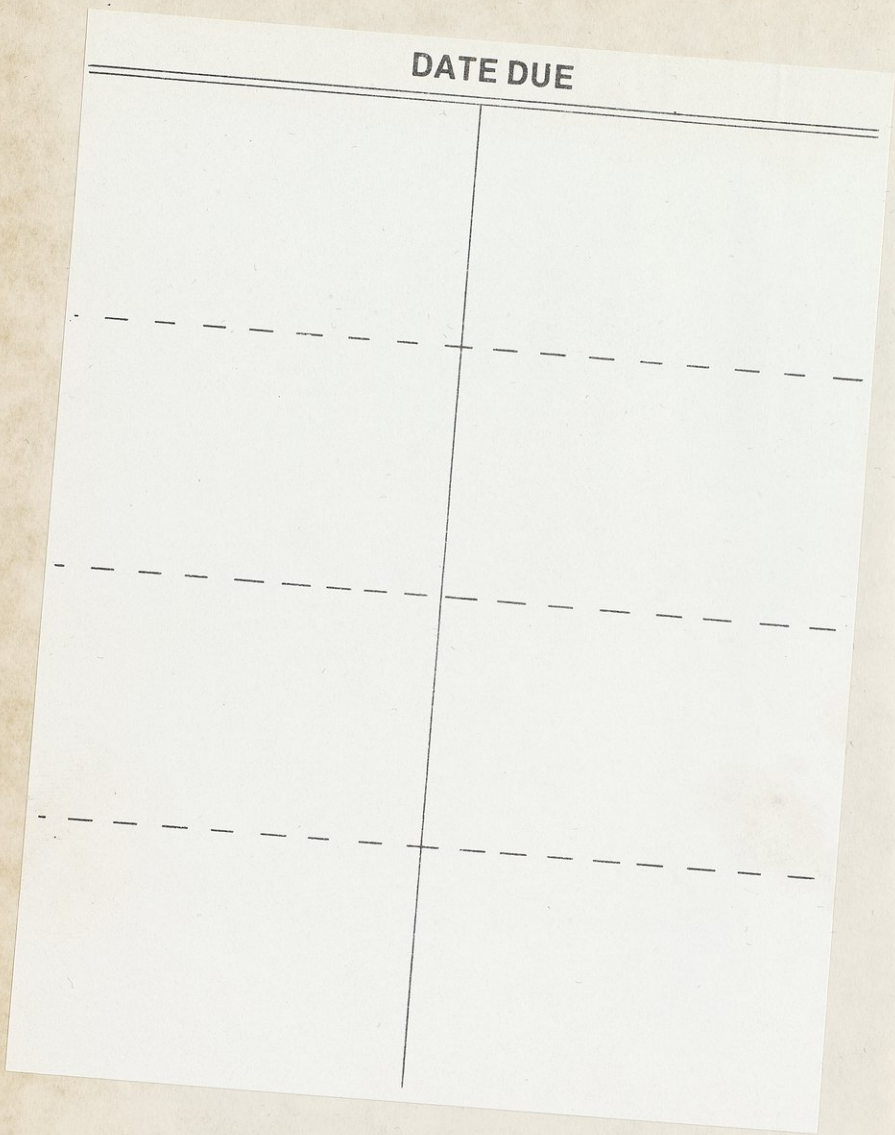
DATE DUE

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

زهرة استوائية في القطب

الطبعة الاولى

عادل أبو شنب

Abū Shanab, Ādil

زهرة استوائية في القطب

/Zahrah istiwā'iyah fī al-Quṭb/

السلسلة القصصية

(٢)

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

PJ
7808
.S57
.Z3
c.1

Near East

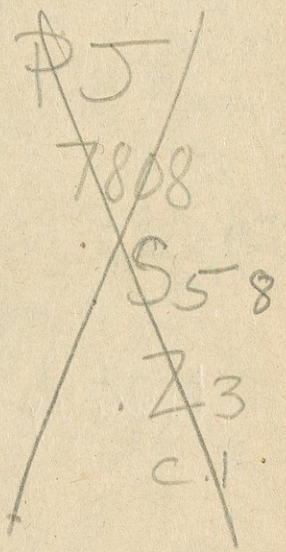

كتب الخطـــوط : عبد القادر ارناؤوط

رسم الغـــــلاف : عبد القادر ارناؤوط

رسم اللوحات الداخلية : نصير شورى

نعيم اسماعيل

فاتح المدرس

اسعد زكاري

هشـام زمريق

الياس زيات

لـؤى كيـالي

عبد القادر ارناؤوط

محمود دعدوش

الدكتور سلمان قطاية

عبد اللطيف قطيط

كلمة صغيرة

قدرت ان مجموعة قصص جديدة ، تدس بكتفيها في السوق الادبية ما بين اكتاف مجموعات القصص المتزاحمة ، تتطلب ان يسبقها كلمة صغيرة ، دهليز ، مقدمة ما .. وانا اكره المقدمات ..

اكرهها لانني احب ان تتحدث القصص نفسها عن نفسها ، واكرهها لانني احب ان يشارك القارىء في عملية الخلق ، فينفعل بالاحداث والاشخاص ويحللها ويستنبط منها ما ترمز اليه ، وما تريد ان تقوله ، وهو امر لا يتوفر للقارىء اذا ما صدرت قصصك بمقدمة هي بمثابة العصا .. تقود في مجاهل الطريق . على ان كراهيتي للمقدمات لم تحل بيني وبين التفكير في كتابة مقدمة لهذه المجموعة ، وانا بالاذن من القارىء لم ارد ان تاتي هذه المقدمة شرحا لقصص المجموعة ، وانما اردتها ان تكون طوافا بالقصة ، القصيرة منها خاصة ، خلال هذه الحقبة من الزمن التي نشطت فيها القصة في القرن العشرين ، فهذه المقدمة ليست كباقي المقدمات ، انها اقرب الى التاريخ القصصي منها الى التقديم المتعارف عليه .

واحب قبل ان اقول اية كلمة ان ادفع هذا الراي وهو ان ما قيل عن بدء الحركة القصصية ها هنا منذ منتصف القرن التاسع عشر ليس بالقول

المقبول والمسلم به نهائيا والنصوص التي قدمها الاستاذ شاكر مصطفى في مجلده عن القصة السورية ليست بالنصوص التي تصلح لتكون منطلقا للقصة او لما يشبه القصة ، ان هي في الاعم الا خواطر فردية كتبت كما أراد كاتبوها .. فجاء بعض ما فيها مشابها في بعض اجزائه الى السرد القصصي ..

ولعل هذا الرأي قد قاد القاريء كما قادني الى البحث عن بواكير القصة بمفهومها الحديث .. بين الانتاج الادبي الذي كان يغلب عليه الشعر والمقال ، ولعله قد حمسه كما حمسني على قراءة ما يلقي ضوءا على هذا الجانب الهام من الموضوع ولكن .. ما أفدح ما سيصاب به القاريء ، انه سيرى الى أرض جرداء غير ذات زرع ليس فيها ما يدل على ان القصة قد نبتت عن قصد فيها .. بل ليس فيها ما يدل على ان اصحاب الارض يعنون بهذا اللون ويتعهدونه ، انه سيرى ان القصة لم تعرف من قبل بل ولم تعرف من بعد .. حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى . وليس يضيرنا الا نعرف القصة منذ زمن ولكن يضيرنا ان نفتعل معرفتنا بها ، وكتابتنا اياها .. لان هذا الافتعال سيقودنا الى نماذج ليست هي من الفن القصصي في شيء واذا ما قورنت بالنماذج العالمية المعاصرة لها .. اعتبرت هذرا ورصفا لكلام لا فن فيه .. لنقل اننا حديثو عهد بالقصة ، ولنضغط على هذا المعنى ولنؤكده ، ولنقل اننا اكثر من حديثي عهد بالقصة : استوردناها ، ثم حاولنا ان نعطيها شخصية وطابعا محليين ..

ان القصة بمفهومها العلمي ، لون من الوان الادب يختلف عن القص كما نعرفه نحن العرب ، فما قيل من أن في بعض سور القرآن الكريم جذورا للقصة ، وما قيل من ان في حكايات الف ليلة وليلة جذورا للقصة ..

هو قول فيه الكثير الكثير من الخطأ وفيه الكثير الكثير من الجهل بمفهوم القصة الحديثة .. تلك السور القرآنية الكريمة والمقامات وحكايات الف ليلة وليلة فيها طابع القص ولكنها ليست قصصا ، انها تختلف عن القصة كل الاختلاف ولست الآن في سبيل تعداد اوجه الخلاف ولكنني أريد أن أقول ان القصة كما يكتبها كتاب القصة عندنا اليوم بمونولوجها الداخلي أو بسردها أو بمداها الزمني القصير أو بتجريدها حادثة من بين حوادث عديدة .. هي مستوردة من الخارج سلعة لا فضل فيها لنا الا فضل المحاولة ، أقصد محاولة التقليد والاحتذاء ومحاولة خلق قصة تصور البيئة المحلية .

لقد أخذنا كل شيء .. في ميدان القصة : أخذنا المضمون وأخذنا الشكل . وليس يضيرنا هذا أيضا .

ليس يضيرنا اننا قلدنا في المضمون .. اول الامر على الاقل ، وليس يضيرنا اننا قلدنا وما نزال نفعل في الشكل وفي حين استطعنا التغلب على أزمة المضمون ، بسبب من تناول كتابنا لموضوعات محلية وجعلها الاسس والمواد الخام التي تبنى بواسطتها القصص ، في هذا الحين ظلت أزمة الشكل قائمة . لقد وجد قصاصونا أنفسهم منذ ان امسكوا بالاقلام يقصون على النحو الذي يفعله كتاب الغرب ، وجدوا أنفسهم أعجز من أن يبتكروا أشكالا وقوالب وأساليب جديدة ، لقد طغى شكل القصة كما عرفوه في أدب الغرب على شكل القصة كما كتبوه ..

ولعل هذا الامر بالذات هو الذي ادى الى عدم انبثاق قصة عربية تعتمد فيما تعتمد عليه .. على الملامح اليتيمة للقص كما عرفت في القرآن الكريم او في المقامات او في الحكايات المماثلة لالف ليلة وليلة .. او لعل المضامين التي تتناول مواضيع وحوادث القرن العشرين .. قد فرضت هذه الاشكال فكان من المتعذر ان يستخدم شكل او قالب عصر قديم لموضوع يمت بالصلة الوثيقة الى العصر الحديث .

لهذا كله يمكن ان يقال في بواكير قصصنا قبل الحرب العالمية الثانية وعلى التحديد بعد ثورة (١٩٢٥) السورية انها البذرة الاولى في القصة السورية الحديثة فهي من حيث الشكل شبيهة بشكل القصة المعروفة وقتئذ في أوروبا وقد نقول بدون خوف انها تأثر وتقليد واضحان لمضمون القصة الاوروبية أيضا وما النغمة الحزينة التي تلمسها في قصص هؤلاء الذين ذكرت .. الارجع صدى قصص كتاب الغرب وقتئذ الذين كانوا يعيشون تجربة رومانتيكية وواقعية حزينة .. حملتها اليهم حرب مدمرة ومجاعات وفواجع ما بعد الحرب المدمرة .

وقد يكون المضمون الذي تمتليء به القصص وقفا على النقاد والدارسين الاجتماعيين فيصبح التعرض لها مني انا الذي يسعى لكتابة لمحة قصصية عامة سريعة أمرا مستنكرا ولكن الحديث عن الشكل يظل أمرا مطلوبا لانه في لب عملية الخلق الفني . ان فكرة ما تستطيع ان تقدمها لقرائك في أشكال مختلفة ، بالمقال أو بالشعر او بالحوار او بالخطابة ، ولكنك اذ تريد لها ان تصبح قصة .. فانما تكون قد حكمت عليها بأن تذوب في شكل تخلقه لها ، شكل مستوحى منها ، شكل خاص بك لا يشاركك فيه أحد وهذه هي عملية القص الحديثة ها هنا الجهد وها هنا الموهبة .. وها هنا الاصالة ، فكأن شكل القصة .. بمقام الجسد من الانسان .

لقد حاول كتاب القصة الاوائل منذ عام (١٩٢٥) وحتى عام (١٩٥٠) ان يخلقوا أشكالا جديدة لقصصهم ، حاولوا ان يكونوا أساليب شخصية غير أنهم على ما في المحاولة من جهد وتصميم لم ينجحوا الا قليلا ، لقد كان الامر أصعب مما يبدو ولهذا تجد قصص تلك الفترة متشابهة الاشكال عند جميع كتاب القصة .. والبارع البارع من كان يكتشف فيها قرأ بلغته الاصلية شكلا جديدا فيكسوه بالفكرة المحلية .. واذا لم يكن في دورهم الا النقل ، واستنبات البذرة في الارض الجرداء ،

فاعظم به من دور ، انه على الاقل محاولة زرع هذا اللونالادبي الى جانب الالوان الادبية الاخرى واحسب ان المحاولة على الرغم من العصي التي دست بين دواليبها قد نجحت ولقيت من القراء قبولا ٠٠ لان القصة القصيرة بخاصة مرآة هذا العصر تنعكس عليها آمال وآلام ومشاكل وفيها يرى الفرد نفسه على حقيقتها وفيها أيضا يكتشف المجتمع ما له وما عليه ٠

مع بدء النصف الثاني من القرن العشرين ظهر قصاصون موهوبون أدركوا ما في القصة العالمية من صنعة وأدركوا ما في القصة العالمية من موضوعات بسبب من قراءاتهم الكثيرة للقصة في منابعها الاصلية ومن حق الانصاف علي ان أذكر بان بعض هؤلاء القصاصين قد ذهل بالتيارات الفكرية ، وأحيانا السياسية المعاصرة ، فشغل بها عن الاهتمام باطار القصة ، بشكلها ، بقالبها ، وصب كل اهتمامه على تجسيد فكرته ٠٠ كما اتفق أحيانا ، كما ان من حق الانصاف علي ان أذكر بان بعض هؤلاء القصاصين قد أخذ باختراع أساليب جديدة فجاءت قصته افتعالا في الصنعة عجيبا ٠

ان القصة كلون أدبي لا يمكن فصلها عن تيارات الفكر في العالم من جهة ، ولا يمكن فصلها عن اتجاهات كاتبيها من جهة أخرى ٠٠ ولقد وضح تماما ان تيارات الفكر التي عرفت وتوضحت معالمها في هذا النصف الثاني من القرن العشرين قد لقحت القصة بلقاحات كثيرة ، فاقبل من اقبل على القصة الفرنسية مثلا يحتذيها واقبل من اقبل على القصة الروسية مثلا يفعل الشيء نفسه وبتأثير هذا اللقاح نشأ اتجاه نحو التصنيف القصصي ٠٠ وصارت تعبيرات « القصة الاجتماعية » و « القصة النفسية » و « القصة الواقعية » وغيرها ٠٠ تتردد في الاذهان وعلى صفحات الصحف والمجلات ٠

وقد أدى هذا التصنيف الذي كان لا بد منه والذي حدث بتأثير تيارات الفكر وأحيانا تيارات السياسة ، أدى الى انقسام قصاصي هذه الفترة الى فئتين كبيرتين ، فئة تؤمن ان الفن للشعب وفئة تؤمن ان الفن للفن ، وكان صراع هاتين الفئتين ايجابيا بمعنى انه كان يستهدف حتى في أشد حالاته عنفا رفع مستوى القصة وتطويرها وهكذا فقد عمل الجميع باخلاص عميق للقصة على تثبيت هذا الشيء الجديد في أدبنا العربي وعلى تقديم أكثر مـا يمكن من النماذج التي تصلح لتقف على قدميها أمام الانتاج القصصي المعاصر في العالم ، ولكن .. ما هو الشيء الذي عمل على خلق نماذج قصصية ناجحة ؟

أحسب ان الامر لا يحتاج الى كبير عناء للاجابة عليه ، فللاصالة التي توفرت لدى كتاب القصة .. وللثقافة التي توفرت في هذا العصر دور كبير في ذلك غير ان الشيء الذي كان له فعل السحر .. هو اولا ظهور طابع شخصي في القصة ، اسلوب يتفرد به الكاتب ويعرف من خلاله .. وهو ثانيا : كتابة القصة بنفس الاساليب الكثيرة التي يتبعها كتاب القصة المعاصرون في العالم وهو ما لم ينجح فيه القصاصون الاوائل او ما لم يحاولوا فيه ، او ما لم ينجحوا فيه رغم محاولتهم .

لقد استخدم قصاصو النصف الثاني من القرن العشرين الاسـاليب الحديثة فعرفت طريقة سرد الاحداث بواسطة التداعي ، حتى أصبح التداعي في وقت مـا موضة كل القصاصين ، وعرفت بل ونوقشت مسألة المـدى الزمني للقصة والتزم القصاصون مدى زمنيا صغيرا : لحظة نفسية في بعض الاحيان ، وعرف الاسلوب الانشادي الذي يتكيء على رومانتيكية المضمون ، وأسلوب السرد والتأكيدعلى التفاصيل ، والاسلوب الكلاسيكي الذي يتخير اللفظة والجملة وغير ذلك .

كانت هذه ثورة في شكل القصة .. والثورة في الشكل لا تتم ولا تحترم الا

اذا واكبتها ثـورة في المضمون ٠٠ وانني لاستطيع القول بأن مضامين القصة السورية قد تطورت وصارت انعكاسا لحالة المجتمع والفرد ٠٠ في هذه الرقعة من الوطن العربي ٠

وهذه المجموعة « زهرة استوائية في القطب » ٠٠ بـين يدي القارىء ٠ انهـا محاولة للاستمرار في تطوير شكل القصة ومضمونها ، ها هنا ، الى الافضـل ٠٠

تشرين الثاني ١٩٦١ ـ عادل ابو شنب

أحلام مراهق شرقي

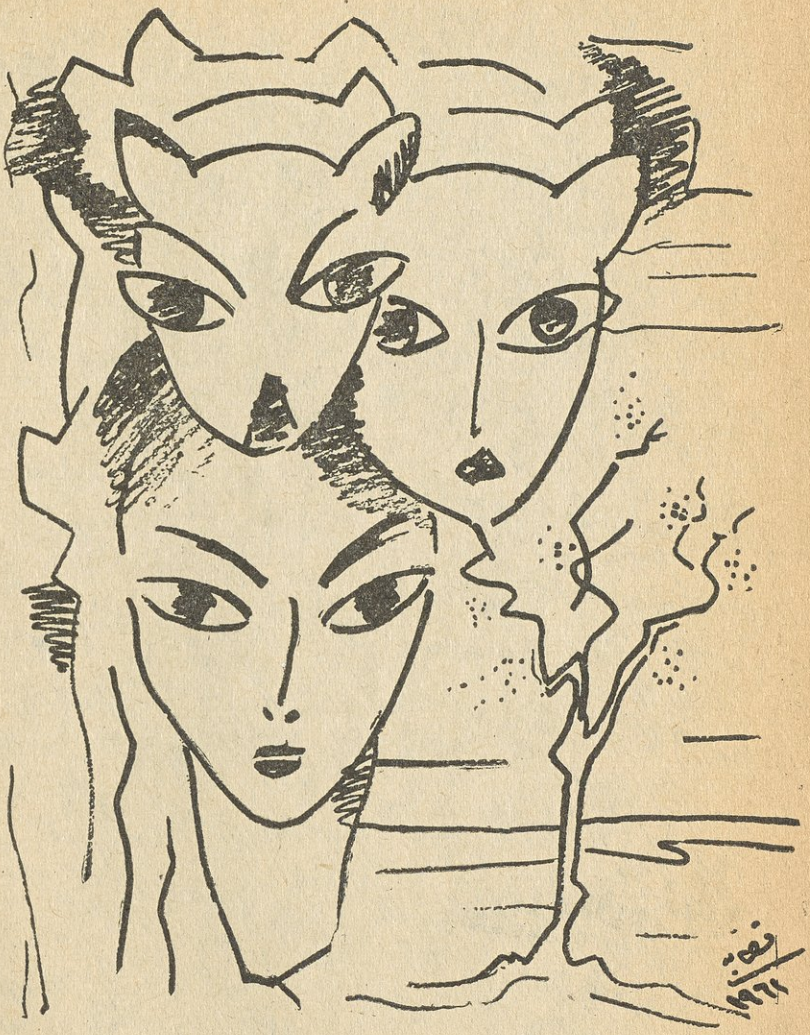

بادلته نظرة حزينة بنظرة أكثر حزنا ، ثم هجرت مقعدها المخملي ، وهطت الى حضنه ، وتكومت فيه ، وراحت تموء مواء يائسا رتيبا ملوثا بدموعها .

كانت « فلة » قد فقدت مع اول هجمة من هجمات هذا المساء حبيبها الاشقر الجميل . دهسته عجلات سيارة في فم الزقاق ، وشهدت ذلك بعينين خائفتين ، أما هو فلقد شهده من وراء زجاج النافذة بعينين باردتين كندى المساء .

وكان ـ وهو مستلق على هذا النحو في العتمة ـ يتلاشى بالتدريج ، ويتجرد شيئا فشيئا من الشعور بالزمان والمكان ، ولعله في هذه اللحظة بالذات كان يحلم ..

في هذا الركن قلت لجميع نساء العالم :

ـ احبكن ..

ومنذ ثلاث ساعات أو أقل حدثت مأساة غرامية صغيرة :

تاريخ يبدو الآن قديما ممعنا في قدمه ، أو تافها ممعنا في تفاهته ، ولكنه حار .. حرارة هذا الجسد ، جسدك يافلة ، المتكوم في حضني ..

شاهدتها ترتقي درج مكتبة ما ، وكانت جديلتاها الفاحمتان تنطان على صدرها وثدييها في نزق لذ لي .. فارتقيت الدرج ، أنا الآخر ، كعصفور سكران بحلم الرحيل الى بلاد دافئة ، وفي ركن قصي ، ضبابي يافلة ، رأيتها ، دلتني عليها جديلتاها .. فوقفت في اتجاهها يفصلني عنها حاجز خشبي صغير ، ورحت أحدق في وجهها المدور الجميل ، تماما كما أحدق في وجهك ، ورفعت رأسها فجأة الى عيني لترى عيني تلتهمانها ، ولم آنس لديها حرجا ، وانما آنست ابتساما ، فكأن فمها قمر خرج من بين السحاب ..

مدتني ابتسامتها بالشجاعة يافلة ، فقلت لها :

ـ اجديدة انت هنا ؟

ـ كيف عرفت ؟

ـ جديلتاك . انهما نغم شرقي يعزف في صالة موسيقى لا تعرف الا الجاز :

وابتسمت ، وقالت :

ـ هل انت شاعر ؟

قلت لها :

ـ شاعر وفارس ..

وابتسمت مرة أخرى ، وفي الزمن الصغير الذي استغرقته ابتساماتها عشت في خدر لذيـذ ، فكأنني كنت في جنينة ملأى بالنساء ، كل جميلة تبز جميلة أخرى .

ثم قلت لهـا :

ـ من أين أنت ؟

ـ من الدنيـا ..

ـ من أين أتيت ؟

ـ من ليبيا ، وربما من فرنسا ، وربما من مكان قصي من العـالم .

ـ الست تنتمين الى بلد ما في العالم ؟

ـ جنسيتي انوثتي : الا تعرف جنسية كهذه ؟

ـ كـلا ..

ـ انت لا تعرف العالم اذن ..

ونظرت ، يافلة ، الى عينيها بشيء من الجرأة ، وقلت :

ـ يبدو انني بدأت اتعرف على العالم ..

وضحكت ، ولست أدري لماذا شعرت وأنا أرى الى فكيها ينفصلان عن بعضهما في هذه الضحكة المرحة المخدرة .. برغبة حارة في ان تكون هذه السمراء القادمة من العالم ملكي .

قلت لهـا :

ـ هل تتناولين معي شيئا من القهوة ؟ انني في أشد الحاجة الى انسان ابادله حديثا ، او ابادله حبا ..

قالت ضاحكة ، وربما هازئة :

ـ كلا . لا استطيع ..

قلت :

ـ أرجـوك .

قالت :

ـ كـلا ..

وأدارت ظهرها لي ، وخلفتني وحيدا ، جديلتاها في عيني تنطان . امضغ مأساتي الصغيرة ، مأساة دقيقة زمنية واحدة ، في صمت ..

خيل اليه ان « فلة » المتكومـة في حضنه تقاطعه ، تقول شيئا ، فالغرفة امتلأت بصوت ما .. فجأة ، فقال بصوت مسموع:

ـ ما بك يافلة ، هل انت حزينة ؟

وأرسل مع الكلمة نظرة مشبعة بالأسى ، فلم تجب الا بالمواء نفسه ، وكانت عيناها الواسعتان .. تتسلقان المنضدة والجدران والشباك ، وأحيانا تتسلقان عينيه ، تحيكان لهما قصة الحبيب الأشقر صاحب العينين الرماديتين ، الذي خلفها وحيدة منسية كأنها امرأة مطلقة ..

مر بكفه الساخنة على أسفل ذقنها ، فلاذت به في دهشة صغيرة ثم حدقت اليه كأنها تسأله :

ـ وما بك أنت ؟

قال بصوت مسموع ، كأنه يخاطب النجوم البعيدة :

ـ حزين أنا أيضا .. يافلة .

وخيل اليه ان فلة تقول شيئا . فقاطعها :

ـ نعم .. من أجل الجديلتين الفاحمتين أنا حزين ياقطتي الصغيرة .

وانهضت فلة جسدها الصغير ذا الشعر الابيض النظيف وقربت فمها من وجهه ، حتى أحس بملاسة خديها ، وخيل اليه انه سمعها تسأل :

ـ هل أحببتها بمثل هذه السرعة ؟

قال :

ـ نعم أحببتها . أنا ما عرفت الحب قط من قبل ، ولكنها مرت بسرعة كسحابة صيفية صغيرة .

وجعلت فلة تموء مواءها البائس الرتيب المندى بدموعها ، ونطت من حضنه وراحت تدور في الغرفة .. كأنها تبحث عن اليفها الاشقر الجميل ، وربما كانت تبحث عن اليف جديد ينسيها اليفها الذي مات تحت أقدام سيارة ..

وبدت الغرفة الصغيرة المطلة على الزقاق : نافذته على العالم .. كأنها قلب شديد الخفقان ، وراحت الاشياء جميعا تتكلم بشماتة ، وبصوت مسموع :

ـ مات حبيبك الاشقر الجميل يافلة . أصبحت وحيدة ..

وفلة تدور في الغرفة .. تموء ، ومواؤها يخرج من أعماق صدرها .. كأنه حشرجة .

ـ ماتت مغامراتك الغرامية الصغيرة . انت أيضا مقضي عليك ان تعيش وحيدا ، يعانقك صمت الجدران الاربعة ..

وهو عار من الاحساس بالمكان وبالزمان .. تمشي الدقائق على عنقه دقيقة في اثر دقيقة . كأنها تأكل جسده وحياته ، ولعله ، في هذه اللحظة بالذات ، ما زال يحلم .. ولكن وجهه المعروق ووجه فلة الملس المتجهم .. كانا يحملان تعبيرين صلبين متشابهين .

دموع كاللؤلؤ

انني الآن امرأة بلا دم .

نعم .. لقد فقدت هـذا السائل الصمغي الاحمر الذي يسمونه دما ، فقدته .. فقدته .. فقدته ..

تسـأل :

ـ كيف كان ذلك ؟

سؤال تافـه ، ولكنه مسل .. لا تقاطعني . سأتحدث ، عليك أنت أن تصمت وان تغلق عينيك . انني لا أحتمل ان أرى عينين محملقتين في وانا اروي حكاية ما .

هل أبدأ ؟

سأقدم لك تقريرا عما فعلت اليوم ، نعم لـك انت يامن أجهل حتى اسمه .

في الصباح وأنا أودع غرفة كئيبة نمت فيهـا مـع جسد وقنينة خمر وشخير انساني ، استسلمت لاجمل عين جميلة .

كانت عين رجل في الخمسين ، فوداه ابيضان وانفه معقوف كأنه منقار عقاب • ضمني الى صدره بعنف في غرفته الواطئة السقف وراح يقبلني بحرارة شمس تؤذن بالافول ويردد :

- حبيبتي ، حبيبتي ، حبيبتي •

ترديدا موجعا حزينا كأنه مواء قطة جائعة ، ثم كف فجأة وراح يحدثني عن زوجة مريضة بالسل وأولاد أكبرهم اعقهم، ومثل واشخاص وأهداف وأحلام ضائعات في متاهة ، وبكى •• فشاركته البكاء دون وعي ، ثم اسلم نفسه للنوم ، وربما للموت ، وكان نومه سببا في شعوري بالوحشة ، وأحيانا بالنقمة على هاتين العينين اللتين حجزتاني هكذا فجأة ••

وقمت • لبست ثيابي وسطوت على مبلغ ما من جيب السترة المدلاة ، وخرجت حزينة متجهمة •• تماما كما خرجت من دارنا ، قبل أيام وربما شهور وربما سنين ••

قال لي ابي وقتئذ ، وكان سحنة مشحونة بالسحب :

- كيف يمكن ان تعيش في هذه المدينة فتاة دون دم ؟

وانهال علي ضربا ، غير انني لم ارسل دمعة واحدة من عيني المفتوحتين ببلاهة • كان غاضبا غضبة عاصفة على سفح

جبل ، وكنت مستسلمة استسلام شاة تقاد الى الذبح ، ولما تعب من الضرب تركني أمضي ..

فتحت الباب وخرجت : هربت حزينة متجهمة دون ان أفكر بالقاء نظرة وداع على دارنا المحشوة في حياتي كأنها سل لا يعرف الهزيمة ..

انني استطرد ، اليس كذلك ؟

سطوت على المبلغ وخرجت حزينة ..

في الطريق تناولت طعاما رخيصا ، وتفرجت بمتعة قلقة على صور فيلم مثبتة على حائط احدى دور السينما ، واندسست بعد ذلك بين الناس . كنت واحدة بين آلاف . قدماي تقودانني الى ما اعرف وما لا اعرف من الشوارع والحارات . ابتسامتي مزورة ومكياجي يفضحني .. يشعرني بأنني لا أحمل دما ، وانني فقدت هـذا السائل الصمغي الاحمر قبل ليال ، وربما سنين ، في جلسة عجيبة ، نجومها مطفأة ، وخدرها كثيف ، وصراخها ، رغم الصمت ، حاد كأنه اخر سحبة على وتر كمان .

احببت ان ادخن ..

اخرجت لفافة ، واشعلتها ، واشرعتها في الطريق .. فاذا بالعيون المدورة كعيون البوم تكتسحني ، واستبد بي حنق شديد الشبه بالتمرد فرحت اشعل سيجارة شابة من سيجارة عجوز ..

حتى التقطني شاب صغير الحجم ، تعيش غريزته في عينيه ، فحملني الى مقصف في احدى ضواحي المدينة ..

دخنت كثيرا ..

تناولت طعاما على الرغم من شبعي .

تهكمت على العينين الخرزيتين اللتين كانتا تلتهمانني ، ودخلت في مونولوج صار مألوفا لدي :

- من أين أنت ؟
- من الدنيا !
- من أين جئت ، أقصد ؟
- من حيث جميع الناس يجيئون !
- هل أحببت ؟
- كلا .
- كيف زللت ؟
- اخرس
- هل تحبينني ؟
- طبعا .
- هل .. ؟
- كلا .
- هل .. ؟

ـ نعم

ـ هل تجيدين الغناء ؟

وقبل ان يتوقع جوابا غنيت بصوت عال ، عال جدا ، ولقد رأيت فكيه ينفصلان عن بعضهما في دهشة ، فضحكت ، وربما ضحك رواد المقصف مثلي ضحكة ثقيلة جافة كأنها سعال . ثم كففت فجأة ، وقمت تاركة الشاب الصغير الحجم وسط بحيرة من الحزن ، وكانت سياط النار تأكل عظامه .

قررت وأنا في طريق العودة الى المدينة ، ان اسافر الى بلد بعيد لا يعرفني اهله ..

سررت لاتخاذي هذا القرار ، ضحكت ..

في المدينة اشتريت حذاء جديدا وبلوزا أحمر وكعكا وجريدة صباحية ، والقيت ما تبقى معي من نقود في راحة صبي قبيح عار ينط وراء أمه ، ثم سرت على الرصيف بلا مال وبلا دم ، فكأنني لا أمت بصلة الى هذا العالم !

فكرت ، بعد ثوان قليلة ، ربما عشر فقط، فكرت بالمال تفكيرا شديدا مركزا .. فارتعت ، وحين اشعرتني عين شابة موفورة الصفاء انها تلاحقني .. تطامنت . كنت وقتئذ كدودة فقيرة بالحياة ينعشها دوس الاقدام .

في غرفة الشاب شربت لبنا .

قال لي ، كأنه يسرد نكتة مضحكة :

ـ أنـا مصاب بالدوسانتريا ، والطبيب نصحني بتنـاول اللبن !

وشربت المزيد من اللبن دون ان أجيب بكلمة واحدة ، وعشت ساعات افتش ما بين الكتب الملقاة بلا عناية في كل مكان عن قصة تصلح لتبديد الوقت .. فلم أجد ، كانت كتبامدرسية، ومنها ما كان يتحدث عن علم اسمه الكيمياء ، واضطررت الى قراءة كتاب صغير عن الذبـاب أربـع مرات ، وانا جالسة ، بشلحتي الحالكة السواد كشقفة من شقفات الليل ، أنتظر قيام الشاب الذي نام ، وربما مات ..

لفظني المنزل أخيرا ، ورأيتني في عتمة الطريق اتناسى فكرة السفر كأن شيئا ما يشدني الى البقاء في هذه المدينة التي أحبها .. على الرغم من انها اكتشفتني : جردتني من دمي .

سألت شيخا عجوزا يحمل على رأسه عمة بيضاء :

ـ كم الساعة ؟

لم تكن بي حاجة الى معرفة الوقت .. فالدقائق تزحف على صدري بطيئة كأنها سلحفاة .

قال الشيخ دون ان يضع عينيه في عيني :

ـ عشرة وربع ..

وكان علي ، وقتئذ ، ان استعجل الليل حتى يتسنى لي في منتصفه ان اقتنص انسانا ما يستطيع ان يؤويني بقية الليل في غرفته ، وعلى التحديد في سريره .

ورحت أفتش ..

كانت عيناي جائعتين الى عينين جائعتين .

مر بي مئات الرجال . ومررت بمئات الرجال . ذرعت الشوارع ، وقفت امام واجهات المحال المضاءة اتفرج على الاثواب النسائية الغاليـة الاثمان كأنهـا الماس . دخلت صالونا يبيع البوظة . جلست على مقعد في الشـارع . حدثت حارسا ليليا اعرفه . سألت شابا عن الساعة . اكلت . شربت . مشيت . قعدت .. ثم لقيتك انت يامن لا اعرف حتى اسمه : قمرا اطل من بين سحب سوداء .

قلت لي :

ـ هل تذهبين معي ؟

قلت لـك :

ـ نعم ولكن ..

قلت لي :

ـ ولكن .. ماذا ؟

قلت لـك :

ـ تذهب معي اولا الى ..

كنت قد تذكرت بيتنا القديم ..

الحت علي الذكرى .. كأنها اغنية ، ولما رأيت دموعي وافقت بلا تردد .

يالبيتنا القديم الذي عرفني طفلة ومراهقة وشابة .. ثم امرأة بلا دم . ستراه الآن .. ليس شيئا خارقا ان يرى انسان الى بيته القديم الذي هجره ، ولكن الامر معي يختلف . انني ، الليلة ، مشتاقة الى رؤية كل شيء قديم ، حتى احجار البيت .

هل تعبت ؟ وصلنا ..

ها هو البيت .. لنقف معا دقيقة واحدة .

ان عيني تنفذان من خـلال الاحجار الى كل شـيء : الدهليز المعتم الرطب كأنه قبو ، النارنجة العجوز المثقلةبالثمر، الدرج الخشبي ، الدرابزون الصدئة ، الشبابيك ، الابواب ، الغرف ، قطتنا فلة ، ابي ، فراشي ، امشاطي ، اخوتي،اقراطي، الصور ، الجدران ، الراديو ، ومرآتي التي عرفتني ذات يوم لاول مرة كيف تحولت الى امرأة ..

ماذا تقول ؟

كلا انني لا ابكي • تلك دموع متطفلة على عيني ، تلمع كاللؤلؤ في عتمة هذا الليل العجيب السواد ، وقلبي •• هل تسمع دقات قلبي ؟ انه يدق كأنه قلب عروس تزف الليلة •

مـاذا ؟

لن اطيل الوقوف •

حسبي هـذه النظرة الصغـيرة ، ولكن دعني ازرع في حدقتي صورة بيتنا القـديم ، قبل ان اذهب معك لتؤويني في غرفتك بقية الليل •• انت يامن اجهل حتى اسمه •

لا تكتئب • سأعرف الآن كيف ابتسم في وجهك ابتسامة حقيقية •

اسطورة

نبتت فجأة على ضفاف النهر ، زهرة وحشية يتيمة تضوع رائحة لا مثيل لجمالها في روائح الازهار التي تنبت على هواها ، ولا يدري احد كيف نبتت ولماذا لم تنبت من قبل مثيلات لها .

وكان .. كلما فكر احد سكان القرية بقطفها والاستمتاع بجمالها .. اصيب بمرض حتى لم يبق رجل او امرأة ، شيخ او طفل الا طريح الفراش ، في حين ظلت الزهرة الوحشية اليتيمة منتصبة القوام على ضفة النهر ، كأنها عروس ، توزع رائحتها الجميلة على النسمات المارة بهـا .. في الطريق الى القرية .

اجتمع سكان القرية ذات مساء في احدى الساحات الكبيرة .. يتدارسـون امر هـذه الزهرة التي يمرض مجرد التفكير بقطفها ، وابدى كل .. رأيا ، وساد الهرج والمرج ، واحيانا

الخوف ، وفيما هـم يقلبون الامـر .. هبطت عليهم ، امرأة بيضاء .. يقسم فتيان القرية انهم شاهدوا نجما يهوي قبل ان تظهر ما بينهم بثيابها الحريرية الهفهافة وعنقها الطويل وعينيها السوداوين الكبيرتـين ، فجلست في صدر المكان .. كأنهـا الهـة !

وساد الصمت فأصبح اللغة الوحيدة الدائرة على ألسن سكان القرية ، واستمر ذلك وقتا طويلا .

قالت المرأة بصوت عذب كأنه صدى اغنية بعيدة :

ـ فيم تتناقشون ؟

ولم يجرؤ احد على الجواب اول الامر ، غير ان عجوزا طاعنا في السن وقف وقال :

ـ نتناقش في أمر زهرة غريبة نبتت فجأة في ضفة النهر القريب ، جميلة ليس كجمالها شيء .

قالت المرأة :

ـ احسب أن كلا منكم يريدها لنفسه .

قالوا جميعا :

ـ نعم .

قالت المرأة . وقد رق صوتها اكثر :

ـ من منكم يصدقني القول ؟

قال فتى صغير :

ـ انـا !.

قالت المرأة :

ـ هل جربت قطف الزهرة ؟

قال الفتى :

ـ اجل . دنوت منها مأخوذا برائحتها المخدرة ومددت يدي فاستعصى علي قطفها على دقة قوامها وليونته ، واحسب ان الخدر قد تسلل الى دمي . فلم أقو لفرط ما اعجبت بالرائحة على الرحيل كما لم أقو على قطفها والاحتفاظ بها لنفسي .. ايضا .. فكنت مشدودا الى عاطفتين جامحتين ، وربما كان هذا سر مرضي ، وربما كان سر مرضنا جميعا .

راحت المرأة ، بعد ، تطوف بسكان القرية واحدا واحدا تسألهم جميعا سر حبهم للزهرة فاذا بهم مجمعون على ان كلا منهم مأخوذ بجمالها مخدر برائحتها ، يتمنى لو يحتفظ بهـا لنفسه .. وفي بيته .

عادت المرأة بثوبها الابيض الذيل ، الى مكانها .. فلما جلست تعلقت الاعناق بها ، كأن كل من في الساحة ينتظر منها الجواب الحاسم .

قالت كأنها تخطب فيهم :

ـ يـا أهل القريـة . لقـد نبتت الزهرة الوحشية في قريتكم .. لكم جميعا ، لتمنحكم رائحتها مجتمعين .

قالت عجوز تقاطعها :

ـ وما سبب مرضنا ؟

قالت المرأة :

ـ أنانيتكم .

وسرت غمغمة ، وراح كل يحدق في عيني الآخر .. ومن العجيب .. العجيب ان افكـار كل منهم قـد طغت على صفحة عينيه ، فصار بمقدورهم ان يقرأوا ما في نفوس بعضهم بعضا .. وبالشـدة عجبهم ، فلقـد رأى كل في افكار الآخر نسخة مماثلة لافكاره ، غير انهم نحوا ذلك جانبا وراحوا يحدقون في المرأة .

وقام شيخ القريـة ذو اللحية البيضاء فمشى نحو المرأة الطويلة العنق .. بقدم رصينة مخترقا سياجا من نظرات سكان القرية ، ولما صار بين قدميها توقف واشار باصبعه الى حيث النهر والزهرة الوحشية وقال :

ـ قولي شيئا ينفعنا بشأنها .

قالت المرأة :

ـ هل اتخذتم قرارا ؟

قال شيخ القرية :

ـ نحن في سبيلنا الى اتخاذه .

واستدار نحو سكان قريته فرآهم اعناقا مشرئبة نحوه ، فسألهم :

ـ ما رأيكم ؟

قالوا جميعا في صوت واحد :

ـ نريد الزهرة .

قال شيخ القرية :

ـ الزهرة واحدة وانتم آلاف ..

قالوا جميعا بصوت واحد :

ـ لنأت بها الى هذه الساحة ، نقتلعها من ضفة النهر ، ونزرعها من جديد هاهنا فتضوع على القرية رائحة لا مثيل لجمالها في روائح الازهار جميعها .

قال الشيخ :

ـ اهذا قراركم الاخير ؟

قالوا جميعا :

ـ أجل .

وابتسمت المرأة بحزن ووقفت ، وداعبت النسمات القادمة من جهة النهر ثوبها الابيض .. فتمدد وسطع منه نور ، كنور الشمس ، شكل هالة تحلقتها وصارت تتجمع حولها ..

حتى ذابت في هالة النور ولم تعد ترى • وأغمي على من أغمي من سكان القرية ، وعشيت عيون البعض •• ودب الذعر في قلوب الجميع •

مرت دقيقة قبل ان تنطفىء الشعلة ، وقبل ان تعود للنفوس طمأنينتها • وكم كان عجب سكان القرية بالغا عندما رأوا الى الزهرة الوحشية اليتيمة وقد انتصبت بقوامها الانيق •• في نفس المكان الذي كانت تجلس فيه المرأة البيضاء •

وفرح سكان القرية ، وقال شيخهم :

ـ هاقد تحقق لكم ما تريدون • لقد حملت ارادتكم •• الزهرة الممتنعة عليكم الى حيث شئتم •• الى ساحة القرية •

وراح يرقص مع الراقصين ، وسمعت اصوات الغناء •• حتى الصباح •

شيء واحد لم يلحظه وقتئذ احد من سكان القرية في الزهرة اليتيمة التي نبتت فجأة في ساحة القرية : لقد غدت زهرة دون رائحة • كانت جسدا رقيقا ، واوراقا بيضاء لا تحمل الخدر الذي كانت تحمله زهرة النهر اليتيمة •• وانما تحمل قطرات من الندى شبيهة بالدموع وأسى عجيبا كأنه تجهم وجه امرأة بيضاء وحسرة لا حد لها على ضفة النهر التي نبتت فيها من قبل بمشيئتها •

برجوازي

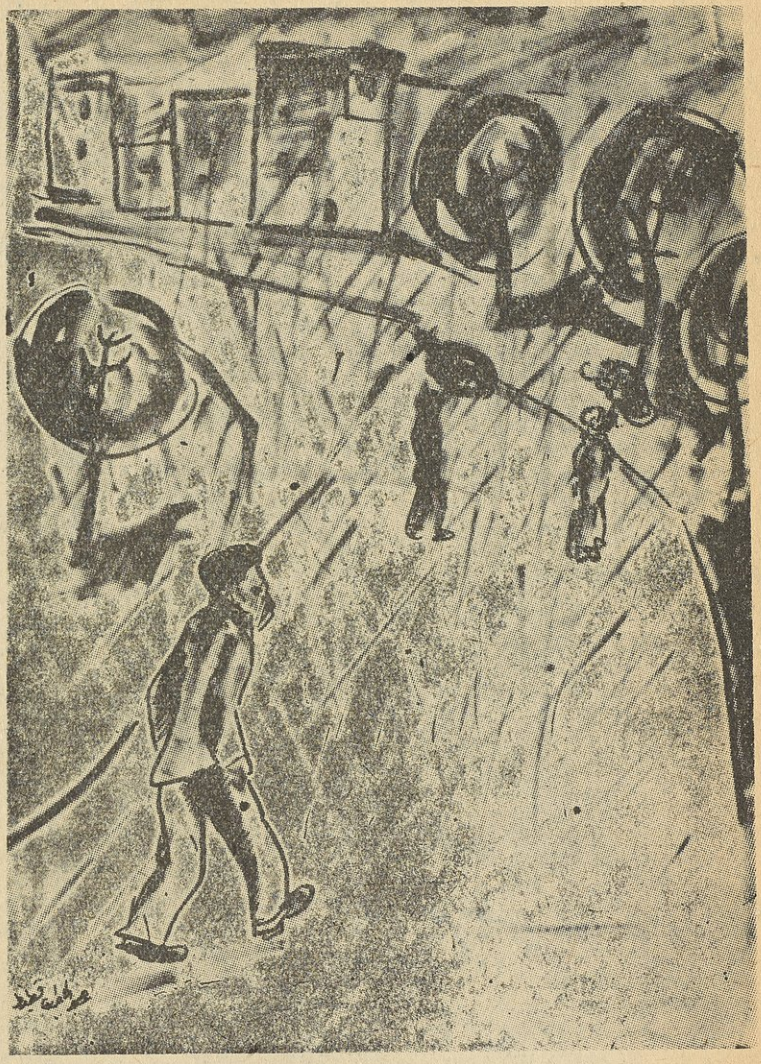

لاذ بالمقهى ..

كانت السماء من وراء الزجاج تبدو كقربة داكنة واسعة الفم والمطر يغزو كل شيء ، والسيل مندفع على هواه لصق الارصفة .

شعر بالدفء ، بالطمأنينة .. فكأنه كان وقتئذ يملك العالم .

ـ تريد قهوة . شاي ؟

حدق في الوجه الناحل ، وابتسم .

ـ هات قهوة .

كان يقبع في أعمق أعماق جيبه نصف ليرة معدني ، تطامنت اصابعه وهي تمر عليه بحنان . قال لنفسه :

ـ اربعون قرشا ثمن القهوة وعشرة قروش نفقات انتقال في الاوتوبيس .

عاد بنظره الى الطريق : كانت القربة الواسعة الفم تصب ما في جوفها على المدينة .. بغزارة عجيبة ، ومع التلذذ بدفء ، رشفات القهوة خيل اليه ان شيئا ما ، لعله القلق ، يتسلل الى ما تحت جلده ..

ـ ثمن القهوة من فضلك ؟ .

حدق في الوجه الناحل من جديد . كانت عيناه صغيرتين ذليلتين ، ولقد خيل اليه بيده التي يمدها انه يسأله ثمن رغيف من الخبز .

مد يده الى جيبه ، وسحابة حزن تطوقه ، واخرج نصف الليرة المعدني ودفعه في وجهه :

ـ أربعون قرشا ثمن القهوة والباقي لك .

كان عليه ان يعـود الى المنزل في العاصفـة وتحت المطر الشديد مشيا على الاقدام !

احزان الرجل الصغير

لؤي الكيالي
١٩٦٦

ـ الليلة ايضا ، وفي نفس الوقت .

مرة ، حاولت ان ارى ما يحدث داخل الجدران الاربعة المتصالبة في كآبة ، وضعت عيني ، بكل بساطة ، في ثقب الباب ورحت افتش عنهما .

كانا غارقين في العتمة ، وكان ضوء الطريق ينفذ عبر زجاج النافذة ، فيسمح للاشياء القليلة المبعثرة في الغرفة القذرة ان تخلق ظلالا باهتة ، ولكنها موحية ، وهكذا اصبح للغرفة ، كما خيل الي للوهلة الاولى بهاء منقطع النظير ، لم اكتشفه من قبل ، فتطامنت لحظة ، لحظتين ، الا ان جلستي تلك وعيني المفتوحة على ما يجري في الداخل .. كانتا تسممان كل شيء بالتدريج ، وتضيفان الى المشهد شخصا ثالثا غير مرغوب فيه .

ولم اكن ارى سوى عيني الفتاة المتقدتين في الغرفة كنجمتين ، ولا ادري لماذا استعادت ذاكرتي بسرعة كل العيون

النسائية التي مرت بي ، كنت اعجب بعيون النساء لاتساعها او لزرقتها ، ولكن هاتين العينين المضيئتين قد وضعتاني امام نوع جديد من الاعجاب ، نوع مشوب بالقلق ، يثير في أسى عميقا لا أعرف مصدره ، وهكذا .. وفي لمحة عين ، وجدت نفسي وجها لوجه امام عملية شائنة ، أشارك فيها مشاركة لا حدود لهـا ..

وبدأ وخز صغير يتحرك في صدري ، منذ تلك اللحظة ، وهممت بأن أطرق الباب فاستدعي سـامي ، واسأله ان يكف ويمضي ، يأخـذ الفتاة الصغيرة التي أثارت شفقتي ، ولكنني ترددت اذ سمعت صوته :

ـ هل تعجبك الغرفة ؟ نحن هنا بعيدان عن ماما وعن بـابـا .

. وسمعتها تجيب في استحياء :

ـ نعـم .

وخيل الي ان هذا الصوت الرقيق .. قديم ، كأنه يخرج من بئر ، وتساءلت في نفسي : اهكذا تضعف البنات عادة امام الرجال ؟

كانت الفتاة جميلة ، بيضاء وصغيرة ، ولقد قدرت ، منذ رأيتها ، انها لم تتعد السابعة عشرة بكثير ، تلبس ثوبا مدرسيا

خيط باناقة ، وتبتسم بسرعة مذهلة لاتفه الاسباب ، ولم أظن بها ، للوهلة الاولى ظنا سيئا مبالغا فيه ، فلقد قدرت ايضا انها واحدة من فتيات دمشق اللواتي يستجبن الى المغامرات الغرامية العابرة التي لا تترك اثارا • وسرعان ما قطعت برأيي هذا ، حين رأيتها تنكمش في زاوية الغرفة خائفة مترددة •

كان سامي ، وقتئذ ، يقترب منها ، ولقد سمعته يقول :

ـ تستطيعين ان تتمدي ، ان تضعي رأسك على كتفي •

ولم تقل الفتاة شيئا ، وانما لاذت بصمت مخيف ، وكان للهاثها صوت مسموع ، وللحظة سريعة ، تمنيت لو انني كنت في مكان هذا الشاب الـذي يعرف على ما يبدو ، كيف يأسر قلوب الفتيات ولكنني كففت عن التمني في الحال •

اقترب سامي وراح يقبلها ، في حين كانت يـده تعبث بصدرها •

ورفعت عيني عن ثقب الباب كمن لسعه تيار كهربائي مفاجيء ، واحسست بدوار حقيقي ، وبأنني مذهول •

كنت دائما احـاول ان إجتاز الايـام بحذر •• متشبثا باشياء كثيرة عن الشرف والمثـل ، حفرت في عروقي ، منذ الصغر ، حفرا •• بسبب من وجودي في وسط ريفي يقدس اشياء من هذا النوع • ولكنني في تلك اللحظة بالذات شعرت

بانني اقذف بنفسي في اعماق اللجة ، وانني اصبحت عرضة لخوف صغير بدأ يتسرب الى صدري بسبب من اشتراكي غير المباشر بهذه العملية القذرة التي يوشك ان يرتكبها سامي في غرفتي ، وهكذا .. واثر لحظة زمنية لا ابعاد لها مضت ثقيلة ، وجدت نفسي مدانا .

ولم ادر ماذا افعل .

ونزلت سريعا الى الشارع ، واندسست بين الناس الذين خرجوا في تلك الامسية المقمرة ، احمل بين جنبي الما لا حد لـه .

لماذا لم اتدخل ؟

انني جبان ، منكمش ، منطو على قذارة عجيبة لا تعادلها أية قذارة في العالم ، فلقد افسح هذا الامل الصغير الذي انبته سامي في شعورا جريحا وكبرياء مسحوقة ، ومثلا معرضة لان تبتلعها قرارة سحيقة .

كان الناس لا يعبأون بما في وجهي من مرارة ، يسيرون ، يتسكعون ، واحيانا كانوا يقفون امام واجهات المحال يثرثرون اعجابا او سخطا ، ثم يعاودون المسير كأنما لا اهداف تنظم مسيرهم ، وكأن لكل منهم مشكلة اخرى يحاول قتلها بهذا العبث الذي لن ينسى الحقيقة الرهيبة .

وتصورت صديق طفولتي الذي خلفته في الغرفة مع الصبية يلهثان وراء كل قبلة ، وكيف انه سيختلط بعد قليل بالناس ، هؤلاء الناس انفسهم ، وكيف انه سيلقي عليهم التحية:

ـ مساء الخير .

ببراءة طفل ، دون ان تختلج له عضلة ، كأن حرمة لم تنتهك ، وغرفة لم تدنس ، وكرامة انسانية لم تبدل بامل ، مجرد امل زرع في صدر رجل صغير ، فيلقاه الناس هاشين باشين ، على وجوههم احترام قديم ، لا تزيله الخطايا المجهولة المصنوعة في غرفة صغيرة ، واطئة السقف ، صاحبها صديق معوز ، عاطل عن العمل مع فتاة طفلة ما تزال .

خيل الي انني اشم رائحة دم فاسد يجري خطأ في الشرايين والاوردة .. وانا اخترق الرصيف المزدحم بالناس ، وخيل الي ان هذه الرائحة تتكاثف في انفي كثافة جنونية ، تدفع على ان اقوم بمحاولة انقاذ .. لنفسي على الاقل .

وهكذا ، وفي لحظة صغيرة ، تهيأ لدى من الاسباب ما يجعلني اعود الى البيت .

ـ الليلة ايضا ، وفي نفس الوقت .

منذ هبط المساء ، وانا انتظر ..

جدران الغرفة الكئيبة .. باردة ، ومع ذلك فان الثلج لم يكن قد هطل هذا الشتاء بعد . ان شهرين شتائيين قد يمران قبل ان ارى النتف البيضاء تتساقط من وراء زجاج الشباك المطل على الزقاق ، وها انذا ملقى دونما حركة ، ينفذ البرد الى عظامي ، ويذبحني هـذا الانتظار المخجل الغريب ، لقـد مات في كل حس ولكن عيني ظلتا تتألقان في العتمة كنجمة الصباح التي تبرق على آخر حدود الليل ، ولعل من الغريب حقا ان اتخيل عيني هاتين ، وقد انفصلتا ببطء عن جسدي ، وحومتا حول جثتي الملقاة على البساط ..

واصخت بسمعي جهة الباب ..

كان من عادة سـامي ان يطرق الباب قبـل ان يدخل ، وكان علي ان افتح بسرعة ، وان ابتسم للصبية ابتسامة مطمئنة، ومن ثم اتناول بضع ليرات من الكف المبسوطة في وجهي ، واذهب بها الى السوق ، واعود مسرعا بسلة فواكه واحيانـا بقنينة نبيذ معتق ..

قلت لنفسي : لسوف يأتيان بعد لحظة ، وسيتكرر التمزق في داخلي .

بت اكره القيام بهذه المهمة ، ولكنني كنت مشدودا الى الامل الغريب المعقد الذي نماه سامي في مع الايام :

ـ غدا أجد لك عملا يا احمد .

ستدخل بعد قليل بقدها الممشوق ، ستحييني بادب جم ، وببراءة طفل صغير :

ـ مساء الخير يا احمد .

وسأرد :

ـ مساء الخير .

وانسحب ، كالعادة الى الخارج ، وعلى فمي ابتسامة ذليلة متكلفة ، وفي عيني بقايا نظراتها الحزينة ..

لشد ما تقلقني عيناها ، لقد خيل لي ، منذ رأيتهما ، انهما حياديتان ، ولكنني اكتشفت فيهما حزنا ملوثا ، وحيرة بدائية تشبه الى حد كبير حيرتي ، ولطالما تساءلت : ترى ، هل أحست هي الاحساس نفسه بالنسبة لي ، هل اكتشفت عيني كما اكتشفت عينيها ؟ كنت احلم أن أقول لها كلمة واحدة صريحة في هذا الشأن ولكنني .. كنت اكف دائما اذ لم يساورني الشك قط في انها تأخذ الامر مع هذا الصديق على انه جد : حب حقيقي قد ينتهي بالزواج .

ساتركهما في الغرفة وحيدين ، كالعادة وسأمضي الساعة الاولى في التسكع ، وسألبس الموقف كله ، غلالة شفافة من عدم الاكتراث ، ومن ثم اعود لاقعي ككلب حراسة مدرب امام الباب .

سأنصت الى حديثهما ، وفي بعض الاحيان ، سأضع عيني في ثقب الباب ، لثانية او لثانيتين ، ومن ثم .. سأرفع رأسي مبتسما ابتسامة ما زالت تكبر في اسى على شفتي .

لست واثقا من ان الخجل القديم قد تبدد ، ولكنني على ثقة من ان لطخة قد وضحت آثارها في عيني ، انني ، الآن ، اقل شعورا بفداحة ما يجري في الغرفة ، وحتى السؤال الذي كنت اوجهه الى نفسي باستمرار :

ـ لماذا سمحت لهما بالدخول هذه المرة ؟

قد مات واحتل مكانه السؤال المألوف :

ـ هل طرأ جديد في موضوع العمل يا سامي ؟

لقد كنت اعتقد ، في البداية ، ان من الخطأ .. ان آتي بهما الى الغرفة ، وكان هذا الوعد المهدور الملآن بالكلمات الرنانة :

ـ غدا اجد لك عملا يا احمد .

لا يمنحني تبريرا كافيا بان ادفع الثمن خجلا مستمرا ، وكرامة مهدورة دونما رأفة ، ولكن الامر .. حدث على نحو مفاجىء وسريع ، فقد جاءني سامي الى مقهاي على عجل ، وهمس في اذني :

ـ اعرف انك تعيش وحدك .

قلت :

ـ نعم .

قال :

ـ اريد ان ازورك .

ولم اتردد قط في ان اضع شيئا من الاهتمام على وجهي. كان سامي قديما صديق طفولة ، زاملته سنة .. ثم نبذته ، بسبب من تباين طريقتينا في العيش ، او بسبب من عدم انسجام ثيابه الجديدة الجميلة مع ثيابي البالية الباهتة الالوان باستمرار، وكنت اجتمع به مرة كل سنة ، او سنتين فابادله تحية مغتصبة بتحية مترفعة من جانبي ..

قلت :

ـ منذ متى وانت تهتم باصدقائك القدامى ، وعلى الخصوص الفقراء منهم امثالي ؟ انت في واد وانا في واد ، وان شئت الصدق ، فانا اخشى ان تتقزز من مظهر غرفتي .

قال :

ـ ترفض اذن ؟

قلت :

ـ اردت ان اقول لك ان الغرفة ليست مما يناسب المقام !

قـال :

ـ انت صديقي ، والصديق خير من يقدر الظروف ، انني لا أريد قصرا ، وانما مكانا امينا ومجهولا .

وضحك بعصبية حتى بدت اسنانه المكسوة بطبقة من القلح صفراء بغيضة ، ولم اضحك ، وانما حدقت الى وجهه الناعم القسمات كوجوه البنات .. كمن يرى من بعيد الى معالم جزيرة نائية مجهولة ، كان انيقا الى درجة تبعث على الضحك ، وكاملا .. حتى انني حاولت لمدة دقيقة ان اكتشف فيه نقصا فاضحا ، ومع ذلك فان رائحته لم ترق لي على الاطلاق ، ولو ان لهفة حديثه معي .. كانت اقل قليلا ، لصددته بكبرياء ..

وسرنا معـا ، اجتزنـا سـوق الخجة الرطب المعتم الى السنجقدار .

كان الهواء سـاكنا ثقيـلا ، والارض تلتهب من وهج الظهيرة ، والحوانيت مغلقة الابواب ، والناس يحثون الخطى نحو الظلال ، يحملون وجوها قلقة متعبة كوجهي ، والباعة الصغار يتثائبون من النعاس ولا يتحركون وقضبيا الترام يلمعان في الضوء كأفعيين دفع بهما القيظ الى التمدد على قارعة الطريق ، وكنت افكر ، وقتئذ في تعذيبه على طريقتي : ان نسير دونما حديث على الاطلاق .

وحين وصلنا الى ساحة المرجة ، سألني :

ـ هل الغرفة بعيدة ؟

كان لهفا ، تقفز عيناه ، وراء معالم الطريق الذي يؤدي الى غرفتي .

قلت ساخرا :

ـ هل تعبت ؟ نسيت انك لا تسير كثيرا على قدميك .

وقال متجاهلا سخريتي :

ـ اين تسكن ؟

ـ في البحصة

ـ ماذا تفعل الآن ؟ اما زلت معلما وكيلا ؟

ـ كلا . انني افتش عن عمل منذ خرجت من الجندية.

ـ هل وجدت ؟

ـ ابـدا .

ـ لماذا لا تعود الى القرية ؟

ـ اعتدت على سكنى دمشق .

ـ ولكن السكنى في دمشق تكلف كثيرا .

ـ وهل يهمك انت ؟

ـ انما اقصدك انت

ـ حالي لا تسر

ونظر الي وقال بسرعة :

ـ سأحاول ان اجد لك عملا خلال يومين او ثلاثة .

وشعرت ان هذا الوعـد لم يكن صلبا ، كان اشبه بماء سفح على بلاط ساخن فتبخر بعد لحظات ، ولكنني تشبثت به فجأة .. لعل وعسى .

وقلت لسامي بكلمات منتقاة :

ـ هل تجد لي عملا يا سامي ؟ انا اعرف ان اباك رجل قادر على ان يصنع من لا شيء شيئا ، اما انت فما ازال اذكر كذباتك الصغيرة وقت المدرسة .

كنت ، وانا اقول هذا ، في اشد حالات ضعفي واستسلامي ، فانا امضغ كل يوم مرارة التفكير في توضيب اللقمة ، واحيانا مرارة الصبر على الجوع .. ريثما يمدني اخي المقيم في القرية بنجدة صغيرة لا تقدم ولا تؤخر .

وقال سامي معاتبا :

ـ الله الله يا احمد . كنا صغارا ، اما الآن ..

وغرقت في نعمة الامل الذي زرعه سامي في صدري .

كنت قد امضيت عقب خروجي من الجندية الاجبارية خمسة شهور وكانت هذه الشهور الخمسة تحفر في اعصابي يأسا جديدا وشعورا بالانهزام في هذه المدينة الكبيرة التي يسير

الاقدار فيها عفريت اعمى متعصب لسطوته وجبروته ، يوزع خيره وشره ، حبه وبغضاءه ، على الناس دونما عدل ، وجاء هذا الوعد :

ـ غدا اجد لك عملا ..

وفرحت ، غـدا يا احمد تجـد عمـلا ، غـدا تمر في الشارع رافع الرأس باذخ الجبهة تحيي من تعرف ومن لا تعرف ، تعد الحوانيت ، تحدث الباعة الصغار اصدقاءك سادة الشوارع ، تشتري بعد مساومة قصيرة دمية صغيرة رخيصة لفاطمة ابنة الجيران التي تتعلق بذراعك كلما تسللت الى الغرفة هربا من امها . غدا تتابع بنظراتك النسوة الجميلات اللواتي يأتين بأولادهن الى مخزن « باتا » لشراء احذية لهم ، جارات وراءهن روائح زكية ، تضحك في وجوههن ، تفتش عن صبية تتزوجها لتعيش الى جانبك مذهولة بدأبك وانت فخور بما تصنع ، تجيل طرفك بالغرفة التي عشت فيها ، بالاشياء التي اذبت عمرك لتحصل عليها ، غدا تدخر مالا كثـيرا يا احمد ، فلماذا انت كئيب هكـذا ، مطفأ التعبير ، تحمل عينين تتحركان بسرعـة دونما هدف ؟

ولاول مرة ، منذ جاءني سامي ، ضحكت .

وعندماوصلنا الى الغرفة ، دفعت به الى داخلها وانا اقول :

ـ هذا هو قصر « الاوريان بالاس » يا عزيزي .

ومر ببصره على الغرفة مرا سريعا ، وخصني بنظرة خيل الي انها نظرة امتنان . فشعرت بشيء من السعادة وبشيء من الزهو .

ـ الليلة ايضا ..

ستة اشهر مضت وانا اسمع طرقا واحدا على الباب ، مما افقدني الشعور بأهمية ما يجري في الغرفة . لقد تلبدت حواسي وغدوت سجين كلمة واحدة تخرج من بين شفتي هذا الصديق الذي دس الذل بين ثنايا وعد مكرور مؤلم :

ـ غدا اجد لك عملا ..

وعلى الرغم من ان زياراته الكثيرة المستمرة الى غرفتي في الليل .. قد اظهرتني بالتدريج على مضمون هذا الوعد فعرفت انه ثمن لم يدفع بعد لسكوتي عما يجري في الغرفة ، الا انني كنت مستعدا للسكوت مدة أخرى ما دام الامل المزروع .. قائما .

وسمعت الطرق على الباب ، ولم اشك قط في هوية الطارق ، وقمت متخاذلا :

ـ مساء الخير يا احمد

ـ مساء الخير

وجمدت تحية المساء على شفتي • كان سامي يمسك بيده فتاة اخرى ، غير تلك الجميلة البيضاء الصغيرة ، فتاة شقراء نحيفة ، قلبت شفتيها اذ رأتني بذقني غير الحليقة وشعري غير المرجل ، ولا اعرف كيف استقبلتهما ولكنني واثق من ان حقدا اسود اطل من عيني ، لقد شعرت بشوق كبير الى تلك الصبية التي تبتسم باستمرار ، والتي قاسمتني بالتدريج حيرة وحزنا دون ان تتبادل كلمة عزاء واحدة • كان وجودها في غرفتي كافيا لاخماد ثورتي المكبوتة ، اما الآن وقد زالت الاسباب ••

ـ واحس سامي بكل شيء ، وقال لها ملطفا الجو :

ـ هذا هو احمد ، صديقي العظيم الذي حدثتك عنه •

وضحك ، ولم يشأ ان يضع عينيه في عيني ، كان يعرف حقيقة ما يجول في صدري ، اما انا فلقد كنت مهيأ للانفجار في اية لحظة ، ولعله أدرك ذلك •• اذ لم يدفع في وجهي كالعادة ليراته الوسخة لاذهب بها الى السوق ، واعود بالفاكهة والنبيذ ••

وبدا سامي مترددا لاول مرة ، كمن يخشى غضبة ما ، يتوقع ان تقذف في وجهه في لحظة قريبة قادمة • كان يبتسم

بين حين وآخر ابتسامة متكلفة ، ومن ثم يعابث الصبية الجديدة عبثا لا روح فيه ، وكانت الصبية تحدق الي بعينين خائفتين ، حزينتين كعيني مسيح مصلوب ، ولست ادري لماذا شعرت بموجة من الرثاء ، تغمرنا جميعا في تلك اللحظة .

كنا مشدودين ، انا وسامي والصبيتين ، الى حاجات مجهولة تنظم علاقاتنا ، وكان كل منا يخشى ان يفقد هذه الحاجة فجأة فيمسي خارج الدائرة التي الفها مع الزمن فاصبحت قدره ، ولم اكن انا نفسي واثقا من ان اعصابي تستطيع ان تتحمل تبدلا طارئا في نوعية الذل الذي روضني سامي عليه منذ البدء . وهكذا بدوت تلك اللحظة مستعدا لان ادق برأسي الجدار الصلب دقات عنيفة حتى يتحطم .

ساقعي كالكلب من جديد اذن ، لارى العملية الشائنة تمثل على النحو نفسه مع فتاة اخرى مبتدئة ، تفكر بقسوة في ان تبذل كل ما تملك من امكانيات لترضي هذا الشاب الانيق الذي يستطيع ان يشتري لها ثوبا كل يوم . وحاول سامي ، ثانية ، ان يلطف الجو ، اخرج من صدره الخدر المألوف الذي اعتاد ان يخدرني به وقال بلهجة ساخنة فيها وجل حقيقي :

– بشراك يا احمد .. لقد وجدت لك العمل الذي تريد .

وسكت لحظة ليرى وقع كلماته ، ثم قال :

ـ بعد قليل ساسرد عليك كل التفاصيل ..

ولم اعد ارى بعيني شيئا واضحا .. كانت هذه هي فرصتي الوحيدة لاتخلص من القيد ، او اخمد الى الابد .. وكان علي ان اجري موازنة دقيقة بسرعة ، ان اضع في كفة الميزان ذلا جديدا مستمرا ، وفي كفة اخرى العمل المعروض علي .. وخيل الي ان عيني سامي تتابعان المعركة التي تدور في داخلي بتحفز لا حدود له . كنت اعرف ان القرار الذي سأتخذه سيحدد الى امد بعيد مصير الرقبة التي روضت على الانحناء ، لذلك وقفت وسط الغرفة مشدوها ، كأبله حاسر الرأس يعرض نفسه لشمس الظهيرة المحرقة .

هل اصرخ في وجهه :

ـ اخرج .. لقد لوثت كل شيء ..

ام ارضخ كشاة اوقفت بين يدي الجزار ، ومن ثم اضطجع على الباب حالما بالغد المثقل بالخبز والادام ؟

وبسط سامي كفه في محاولة لمنعي من الاستمرار في التفكير وقال :

ـ خذ ..

ودونما اية كلمة اعتراض اخذت المبلغ بيد ترتجف ، ونزلت ..

كان المساء مخيفا ، وكانت قبضة يدي ملأى بالثمن .. ثمن الفاكهة والنبيذ والاشياء الاخرى ، وفي هذه الساعة الشتائية الملأى بكل ما تحتويه ساعة مماثلة من عذوبة وحب متبادلين بين الناس ، ومن آمال وآلام مشتركة كانت احزان الرجل الصغير المختزنة في صدري تدق الباب دقا ملحاحا دون جواب، وكنت اغيب في عتمة الشارع شيئا فشيئا .

سحابة بلا وطن

كان عليه ان يجتاز مساحات واسعة من الضباب الكثيف المهيمن ، بمرح ، على التوءات الجبلية المبللة بالندى ، وكان يغذ السير صعدا ينظر الى القمة بشغف قديم . كان هذا الجبل الباذخ الجبهة كانسان نموذجا للتمرد ، وكانت قمته المتكبرة تشبه عنقا انسانية متطاولة .

ـ انا احب الاعناق . احبها . احبها . احبها ..

ومضى ..

واشعره الجو الرطب المشبع ببخار الماء .. بالنشوة ، وبقليل من الندم ، حتى انه فكر ، في العودة والدخول الى غرفة أمه والجثو على حافة سريرها ، يستغفرها من هذه الفعلة التي اتى ، ولكن ايمانه الحار كأرض استوائية بانه انتهى كانسان في هذه المدينة .. حث ساقيه المشدودتي الاعصاب على المقاومة والمضي ..

قالت له امه :

ـ لماذا تذهب يا بني ؟

قـال :

ـ مدينتي عقوق يا اماه .

قالت :

ـ هل يهجر انسان مدينته بمثل هذه السهولة يابني ؟

قـال :

ـ لم اعد اقوى على الاحتمال يا اماه . سأذهب ..

كان يعلم انه يهجر بهجران امه وطنا وصدرا وتاريخا صغيرا تافها ولكنه حار ، وكان يعلم انه يجابـه موقفا حزينا صعبا ، ليس هو وداعا ، وانما انتهـاء ، حركـة ميتة ، آخر حركة ..

كان الجبل رفيقا به في اوله ، وكان يرتقيه كما يرتقي درج بناء ما في المدينة .. وثبا ، وكان مشهد المدينة المضطجعة في السفح مخدرة معصوبة العينين يثـير في قلبه أسى اعمى ، حتى لقد خيل اليه ان المنازل الصغيرة الملتصقة اكتافها الباهتة اضواؤها .. رئات تجثم عليها كوابيس غير مرئية ، وبضغط من هذا الحنين غير العادي للمدينة التي هجرها بـلا حقائب

ثقلت خطوات صعوده ، ولم تمر فترة حتى تهاوى من الاعياء والخوف والحزن الاسود كالليل .

انه ليتذكر الآن كيف تهاوت قدماه ذات مساء قديم قديم ..

كان يركض ، وكان لهاثه يواكب حركة قدميه الهاربتين ، وفي منعطف ما كبا ، كان كحصان خائب في سباق ، فحملوه كأنه جرذ لوث الطعام ، وفي ذريبة نتنة دفن عشرة اشهر ساهر فيها الجدران الاربعة الكئيبة ، وكتب في رأسه الآلاف من ابيات الشعر الرديئة الوزن ثم محاها ، وصار ينشطر في الليل اما يسمع الانات والصراخ الى اثنين : واحد يتألم ، وواحد يتفرج ، وفكر في الانتحار اكثر من مرة .. ثم افرج عنه ذات مساء قديم .

قالوا له :

ـ ثبت انك سارق ..

وحملوه ملابسه :

ـ امض ..

وببساطة مضى . لم يكن يصدق انه اصبح حرا ، وعندما صافحت عيناه النجوم المعلقة في السماء ، وشم هواء نقيا وحرك يديه دون ان يتلقى الصفعة التقليدية .. تهاوى على الارض

من تعب الفرح .. تماما كما تهاوى منذ قليل على صخرة ذات شهامة ، احتضنته ولم تقذف به الى اعمق اعماق السفح .

احاطت به الظلمة .

كانت الشقفات السوداء المحمولة الى عينيه على جناح الهواء الرطب تفزعه ، وكانت النجوم الباهتة اضواؤها تخفيها الغيوم تارة وتبديها تارة اخرى ، الشبيهة بالعيون الماكرة المتجسسة تضيف الى مأساة هربه ، مأساة الشعور بالعجز ، لقد وجد نفسه في هذا الجبل القائم كجدار .. عاجزا عن تحقيق فكرة الهرب التي خرج بها من المدينة ..

واغمض عينيه ..

لكم هو بعيد الآن عن نفسه . لقد شعر ان حواسه تنفصل بالتدريج عن جسده وانه كتلة لحمية شوهاء ملقاة في البرية كذبيحة فسد لحمها .

كان خياله وحده هو الذي يعمل ..

وكانت السفن الضبابية كسفن القراصنة المبسوطة اشرعتها للريح .. تحمله الى المدينة المقفلة عيونها :

نفذ كأنه مخلوق اثيري الى كل شيء ، الى المخادع والشوارع وجلسات الحزن حول طاولة عتيقة ملأى باكواب الشاي والسأم واعقاب اللفافات الرمادية ، ورقد مع الازواج المنهوكين

من العمل والقلة على الاسرة المضمخة برائحة حب الاجساد للاجساد ، ودفع مع الخبازين التعبة عيونهم من وهج النار .. بالعجين المتخمر الى النار ، ودخل دور السينما والملاهي والمتاحف والسجون ودور الكتب ومعارض الرسم ، وامضى ليلة ، ليلتين ، مع السكارى تعتهم السكر ، ورائعه في طوافه الاثيرى ان يرى مدينته التي اتهمته بالسرقة .. جميلة ، طيبة ، تمد ذراعيها اليه .

قال بصوت مسموع كأنه يحادث نجما :

ـ الحياة ليست محتملة في مدينة لا تقبل الغفران .

وبكى .. شعر انه ، مع هذا العناء ، يتيم في هذا الجبل ، في هذا الليل ، يتم هذا الجبل وهذا الليل .. من القمر .

كان وقتئذ ، كسحابة لا وطن لها توزع دموعها فوق كل ارض ، ولقد ايقن اثر طوافه الاثيرى في مدينته التي قرر هجرانها .. انه يرتكب عملا شائنا ، ولما مرت الدقائق التالية ولم يتبين فيها ما اذا كان يرى على صفحة السماء من خلال الضباب ، نجوما او عيونا تشبه عيون الناس في مدينته ، عاد الى نفسه واكتشف ما في هربه من عار .

وكف عن البكاء .

ولما سمع لغوا تحمله اليه النسمات الجبلية تحامل على نفسه وقام ليرى ، وكان ما تبينه من نظرته التي تعب في

تسديدها نحو مصدر الصوت .. لمعة حديد بنادق في وهج النجوم .

واسرع يهوي بجسده الى السفح : وكانت قدماه حذرتين في انتقاء المواضع التي تمران بها ، اما هو فكان كتلة من احاسيس كثيفة متشابكة : ففرح العودة الى المدينة يختلط بالخوف من جنود الحدود ، بطغيان هاتف داخلي يحمل اليه ثرثرة الناس :

ـ السارق ، السارق ، السارق . السارق .

مشى في الشارع ، هو الهارب من مدينته بلا حقائب ، النكرة الذي لم تلوح له كف حزينة بمنديل ، مشى في جذل ، فها هي ذي المدينة التي لا يعرف ما اذا كانت طيبة او شريرة .. تستقبله بشغف وغير ما اكتراث كأنه جنديها الشجاع العائد من ارض المعركة الخاسرة ..

وراحت عيناه الشرهتان تختزنان صور الناس والارصفة وعناقيد الموز المدلاة في افواه الحوانيت وذرى المنازل ، والوان الملابس والتعب المرسوم على الوجوه ، ولا يدري لماذا استجابت عيناه لهذه الصور ، فقد ارسلت دموعا ، وكان يحس هو في تلك اللحظة انه سحابة حبلى بالغيث عادت الى ارضها بعد رحلة متعبة .. وطويلة .

الرحيل

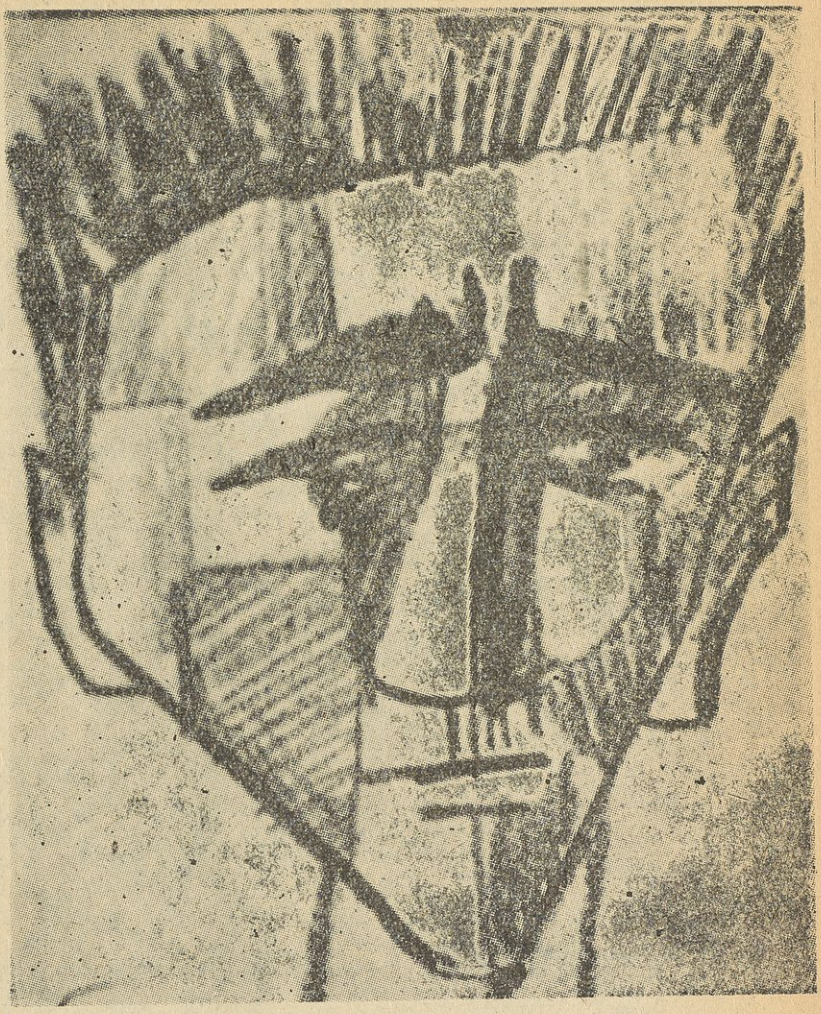

جاءتني اختي ، وأنبأتني :

- جهزت كل شيء ..

وكانت عيناها الودودتان .. مليئتين بالدموع .

ابتسمت في وجهها اشجعها ، ولكن ابتسامتي اعطت تأثيرا معاكسا ، وبدلا من ان تبدل دموعها بابتسامة .. أجهشت وصار الموقف كله يدعو للرثاء ، ولم اعد انبس بكلمة واحدة .

كنت قد قررت الرحيل نهائيا .

لبست ثيابي ، ووقفت ، لحظة ، اطل على صحن الدار من وراء زجاج الشباك : كان ابي متجهم الوجه ، يدور حول الفسقية الصغيرة التي يتدفق منها الماء بغزارة ، وكانت امي لائذة بباب احد المخادع .. تنظر الى ابي نظرات لينة ، وكانت اختي الصغيرة تزحف نحو الدرج في خبث طفولي حلو .

احببت ان يعيش هذا المشهد الاخير في عيني قبل ان افارق دارنا الى الابد ، على ما فيه من تجهم فهو ما سأحمل معي في طوافي الذي فرضته على نفسي .

وذكرني صوت أختي :

- جهزت كل شيء ..

ودموعها ، واجهاشها ، والموقف كله .. بان علي ان اذهب الآن كي اجنب الجميع هذا الوداع الذي يأكل جدران القلوب .

حملت معطفي وفتحت باب الغرفة .. غرفتي .

هل التفت لارى الى هذه الغرفة الصغيرة التي تضم احلامي وذكرياتي واشيائي ؟

قدرت ان أية التفاتة مني .. قد تدفعني على العدول عن الرحيل ، ولذا فقد حملت جسدي ، ومضيت خطوة متثاقلة في اثر خطوة متثاقلة ، وفي أذني صوت ازيز السرير الحديدي الذي ساهرني واحتواني كل هذا العدد من السنين التي عشتها .

واستقبلني الممر الصغير الذي يصل غرفتي بالدرج . ان هذه الامتار القليلة من بيتنا التي عشقت ارتطام حذائي بها كل عشية ، وكل صباح ، واحيانا كل دقيقة ، لن تحتضن قدمي

اما اعود واما اخرج • وكان هـذا يدفع الى البكاء •• ولكن دمعة واحدة لم تجد بها عيناي •

كنت انظر الى الامام ، كأني جنديٌ في عرض • وعند منعطف الممر واتصاله بالدرج تريثت لحظة ، فقد احسست ان خطواتي القليلة قد اتعبتني ، وان علي ان استريح هنيهة ، والا فانني لن اتمكن من الاستمرار في السير بعد ذلك ، وهكذا توقفت بعيني القلقتين وبجسدي المترنح ، وبقلبي الذي يدق بعنف كأنه محرك سيارة ما ستحملني الى مكان ما ، بعيد عن هذه الدار •

ترى •• هل ينظر ابي الي الآن ؟

وامي •• اهي لائذة بالباب تحدق في والدي كأنها تسأله غفرانا ؟

واختي الصغيرة •• اما تزال تزحف نحو اسفل الدرج ؟

كان علي ان امضي •• فالاسئلة تتوارد الى ذهني ، في وقفتي هذه ، كأمطار اول الربيع ، ولو توقفت اكثر •• لشككت في مقدرتي على تنفيذ ما صممت عليه •

كان علي أن امضي بسرعة اذن •

تركت الدرجة الاولى ، وفي لحظة خاطفة كانت عيناي تحطان على جسد ابي • كان ابي يلهث من الاعياء ، ينظر الي

بوجه صارم كأنــه وجه قاض يتخذ حكما بالادانــة ، وبعينين محتقنتين بالعذاب .

اتراه سيقول لي كلمة واحدة ؟ ان كلمة واحدة قــد تعيدني الى غرفتي ، وقد تجعلني الغي فكرة الرحيل الى الابد .

نزلت الدرجة الثانية فجاءني بكاء امي حادا ، ولقد كنت استطيع مقاومــة كل شيء الا بكاءهــا المخدر الذي ينفذ الى عظامي .

دون شعور مني هتفت :

– كفى يا امي . ارجوك ان تكفي .

ولزمت امي الصمت وخنقت دموعها في عينيها ، ولم اعد اسمع سوى صوت دقات قلوبنا جميعا ، ترددها جدران المنزل التي تسلقت عليها عريشة لها من العمر مثل عمري .

ونزلت الدرجة الثالثة ، وكان علي ان اتدبر امر المرور بهذه الاخت الصغيرة الشقية التي زحفت حتى اسفل الدرج ، لتتعلق بساقي وتسألني ان اخرج بها الى الزقاق قليلا كما كنت افعل ، وخيل الي ، وانا اجتاز الدرجات الثلاث الاخرى ان جدران البيت والفسقية ، وطاولة الطعام ، وامي وابي واختي.. رئات تتنفس بصعوبة .

وشعرت انني على وشك الوقوع او الاغماء .

في اسفل الدرج استوقفتني اختي الصغيرة وراحت تبتسم في وجهي ، وتقول في لغة حروفها لم تكتمل النضج :

ـ خذني معك ..

وحاولت ان امد ذراعي لرفعها الي . ولكن دموع امي ذات الصوت . ونشيج اختي التي تسير ورائي ، جعلاني اكف ..

كانت امي قد اصبحت قريبة من ابي ، وكان ابي جامد الوجه ، يحدق الي بشيء كثير من القسوة ، ولو لم اجد على وجهه هذه القسوة لكنت قلت له :

ـ اطلب منك العفو يا ابي ..

ولكن الوجه الحديدي الذي لا تتحرك عضلاته .. لم يترك لي فرصة واحدة .. للتراجع .

وسحبت قدمي سحبا الى باب البيت الخارجي ، وسمعت نشيج امي واخوتي يعلو ، وزفير ابي ، وكمن اغمد في قلبه خنجر شعرت انني انسلخت نهائيا عن هذا البيت الذي عرف طفولتي ويفاعتي ، وعن هذه الاسرة ، واني باجتيازي هذا الباب سأخلق خلقا جديدا ، قد يكون سيئا وقد يكون حسنا ..

وقبل ان اضع قدمي في الزقاق هرعت امي نحوي ، وامسكت بذراعي ، وراحت تقبلني وتقول بما يشبه الولولة :

ـ لا تذهب يا بني ، لا تذهب ..

ورددت كأنني ببغاء :

ـ بل سأذهب .

وقال ابي :

ـ دعيـه

وقالت امي :

ـ حرام عليك .. اليس ابنك ؟

وقلت لامي بصوت عال ، كأنه صياح :

ـ اتركيني ..

وصرخ ابي فيها صرخة مألوفة :

ـ اتركيـه .

وامتثلت امي فجأة ، فدفعت الباب دفعة عنيفة ، ووضعت قدمي الاثنتين في الزقاق :

لقد اصبحت خارج هذا البيت ، وكان علي ان امضي بسرعة ..

ومضيت ..

وكان آخر ما ضمته اذناي المتعبتان .. نشيج امي واجهاش اختي ، وصياح ابي :

ـ اتركيه • لن يستطيع العيش بدوني • سيحتاج الي وسيعود مثل ••

وكسكين حادة قطعت وترا في عـود كنت قـد اتخذت القرار :

كلا ، لن احتاج الى احد ولن اعود •

الحصاد

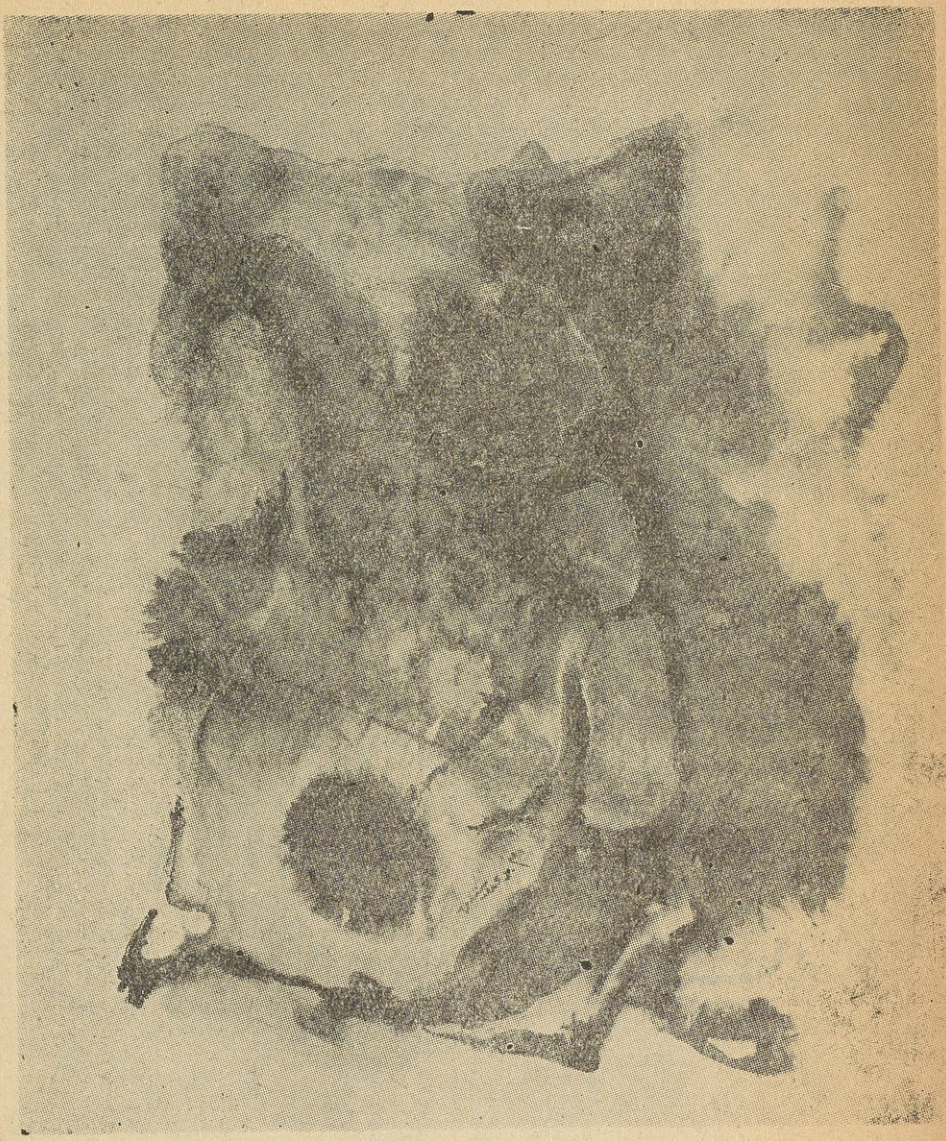

انـا ..

هل تصغون الي لحظة واحدة لا اكثر ؟

انا عقرب ساعـة دقيـق الجسد ، كأنني ابرة ، مهنتي الطواف باستمرار حول اثني عشر رقما امر على الاعمار آكلها ببلادة ، وأنا احدث الصوت المعروف : تك . تك . تك .

اسمي في بعض الاحيان الزمن ..

لعبتي خطرة ، خطرة جدا .

اضبطوا ساعاتكم ، اضبطوني سأبدأ بالطواف حول دائرة قطرها ـ كالعادة ـ ستون ثانية . هل فعلتم ؟ تك . تك . تك . انني التهم الآن كل شيء والحاضر أصيره ماضيا في لمحة عين .

تك . تك .. تك .. رجل يتثائب في كوبا ، يفتح فمه . وامرأة تلفظ وليدا في ايران .. في نفس اللحظة . وبائـع

كعك صغير ، اشقر ، عيناه ذكيتان .. يبرز من مكان ما في شارع بدمشق .

واحمد يقول :

ـ ماذا تريدين يا فطمة . لماذا تعودين الى الماضي ؟

رجل ينهال عليه كوم من تراب القبر في انقرة ، ورجل آخر يعيد اغلاق فمه في كوبا وبائع الكعك يبدأ في النداء وفطمة تجيب :

ـ ولكن الا يمكن ان نجد حلا اخر يا احمد ؟

الفرحة تملأ وجه زوج جاءته امرأته بولد في ايران ، ولمبة كهرباء تتوهج في السويد ، وانسان ما يصعد الاسانسير في لندن وآخر يموت في كوناكرى وبائع الكعك الصغير يستمر في النداء واحمد يقول :

ـ التزمت ما أمر به القانون . بلغ هيثم السابعة فحق لي ان استرده .

دمعة تتدحرج من مقلة في بيروت وزلزال يحدث في القطب وقطة تموء في اليابان وفتاة تفض بكارتها في شيكاغو ، وانا ماض : تك .. تك .. تك .. في طوافي الخالد ، وعاشق يكتب على ورقة بيضاء « حبيبتي الغالية » في كوريا وفطمة تفتح فمها :

ـ انت لا تقدر مشاعر الام التي يؤخذ منها ولدها هكذا فجأة ؟

بائع الكعك يهم باختراق الشارع ، ينزل احدى قدميه من الرصيف الى الارض ، وحلاق يضع موساه في نفس اللحظة على ذقن الزبون في عمان . تك .. تك .. تك .. وصبي يحشو فمه بقطعة خبز كبيرة في غانا ، واحمد يجيب متسائلا :

ـ ومشاعر الاب يا فطمة ؟

ذراع تمر بالقوس على اوتار كمان في فيينا ، ورجل يشهق بسبب من تعرضه لماء « الدوش » في اثيوبيا ، وهاتف يرن في نيويورك ، وفطمة تقول بسرعة :

ـ انني لا اتصور ان هيثم ، ابني وحبيبي ، لن ينام الليلة الى جانبي كما اعتاد ، هل هو يبكي الآن ؟ هل يسأل اين ماما ؟

قدح ويسكي يهوي على الارض في استانبول ، وطبيب صحة يضع نظارتيه على عينيه في افغانستان ، وبائع الكعك الصغير يقذف بقدمه الاخرى الى ارض الشارع ، وطلقة من مسدس حربي في الجزائر ، وانا .. تك .. تك .. تك .. بلا رحمة ، واحمد يقول :

ـ هذا الحديث غير مجد . لقد انتهى كل شيء .

سكين جزار تمر على عنق خروف في مكة ، ورئيس الوزراء يرفع يده بالتحية في كمبوديا ، ورسام متشرد يضرب الارض بريشته في باريس ، ونائم يفتح عينيه في موسكو ، وبائع الكعك الصغير يتقدم خطوة جديدة في قلب الشارع المزدحم بالسيارات ، وفطمة تسأل بليونة دامعة :

ـ هل سأراه بين الحين والآخر ؟

فتاة تلوح بيدها لشاب مسافر بالقطار .. في روما ، وصبي يبصق على زميله في الهند ، ورجل يدخل البنك في تاهيتي ، وانا .. تك .. تك .. تك .. التهم كل شيء ، واحمد يقول :

ـ مرة في الاسبوع ، هذا ما اتفقنا عليه في المحكمة . الا تذكرين ؟

سيارة تسير بسرعة جنونية في شارع بدمشق ، وصبية تقول لشاب « نلتقي غدا » في مرسيليا ، وطابة تنط على الجدار في الارجنتين ، ورجل يقول : كلا .. في الصين ، وآخر يقول : نعم .. في البرازيل ،

وفطمة تتحدث :

ـ مرة في الاسبوع ، وهو الذي كان يملأ حياتي ؟ اين هو الآن ؟

رجل يحدق في ساعته في الاسكندرية • يرى الي وانا اثب بالثواني ، اهضمها ، وبوق السيارة المسرعة يزأر زئيرا حادا ، وزهرا طاولة يهويان في مقهى بالقاهرة ، واحمد يقول :

ـ في الشارع ، يبيع اشياء ••

وبائع الكعك الصغير يركض من الذعر ، وباب يغلق بشدة في حلب • تك • تك • تك • اضبطوا ساعاتكم • الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة والثانية الثامنة والخمسون ، واحمد يقول :

ـ اذهبي ••

وبائع الكعك الصغير في مواجهة السيارة المجنونة ، وجرس كنيسة يتحرك في اسبانيا ، ودمعة تترقرق في عين سيدة بامريكا ، تك • تك •• والسيارة تقذف ببائع الكعك الصغير تحت عجلاتها وقلب فطمة يمتلئ فجأة بالاسى •

انني دقيق الجسد ، آكل الحياة ، اجعلها تافهة •• لا قيمة لها ، ولكن •• لماذا تحدقون في بذعر •• احيانا ؟ انني قطعة حديد صماء •• اسمها الزمن •

اتممت دورة كاملة : ستين ثانية • وها انـذا ابـدأ في طواف جديد • اضبطوا ساعاتكم •• تك • تك • تك • تك • رجل يتثاءب في سيبيريا ، امرأة تلفظ وليدا في اليونان ، صبي يبتسم في الدانيمرك •• وانا بقدمي المكابرتين اتقدم •• احصد كل شيء •

حب صغير

مرت عائشة بالسوق .. وفي صدرها الامل اليومي نفسه: ان تراه ، ولم تكن لتبالي ان هو خصها بنظرة ساخرة كما كان يفعل ، حسبها ان تحط نظراتها عليه كما تحط قطرة الندى على زهرات الحقل .. تحنو عليها كأنها أم .

انتهت بها السوق الى دكانه . كان يجلس وراء منضدة العمل يغرز مسامير صغيرة في حذاء جديد .. يضعه امامه . وكان مستغرقا في العمل فلم ينتبه اليها وحارت ماذا تفعل .. هل تقول شيئا ، تخرج من بين شفتيها اسمه الحبيب : احمد ؟

ابتعدت قليلا عن الدكان ، وهي تفكر .. وقلبها يثب في صدرها كطير ذبيح .

دخل هذا الشاب قلبها منذ أيام فقط .. رأت عينيه الكبيرتين الواسعتين ، فاحست بهما تنفذان الى قلبها الصغير الذي لم يألف الخفقان على هذا النحو من قبل ومنذ ذلك الوقت .. لم تتردد في المرور بدكانه عشرات المرات في

اليوم الواحد .. تتطلع الى وجهه المنكب على الحذاء الجديد الذي بين يديه .

كانت ترجو ان يجتمع نظراهما .. ولما مرت بالدكان ثانية .. كان مـا يزال مستغرقا في العمـل ، ملتفتا اليه كل الالتفات .

ماذا تفعل ؟

فكرت قليلا وهي واقفة في اتجاه الدكان .. ثم مدت يدها الى جيبها واخرجت زهرة صغيرة يتيمة كانت قطفتها من ضفة النهر .. وترددت قليلا قبل ان تقذفه بها ثم ركضت .

وكانت جديلتاها تثبان على صدرها .. في نزق وذعر .

زهرة استوائية في القطب

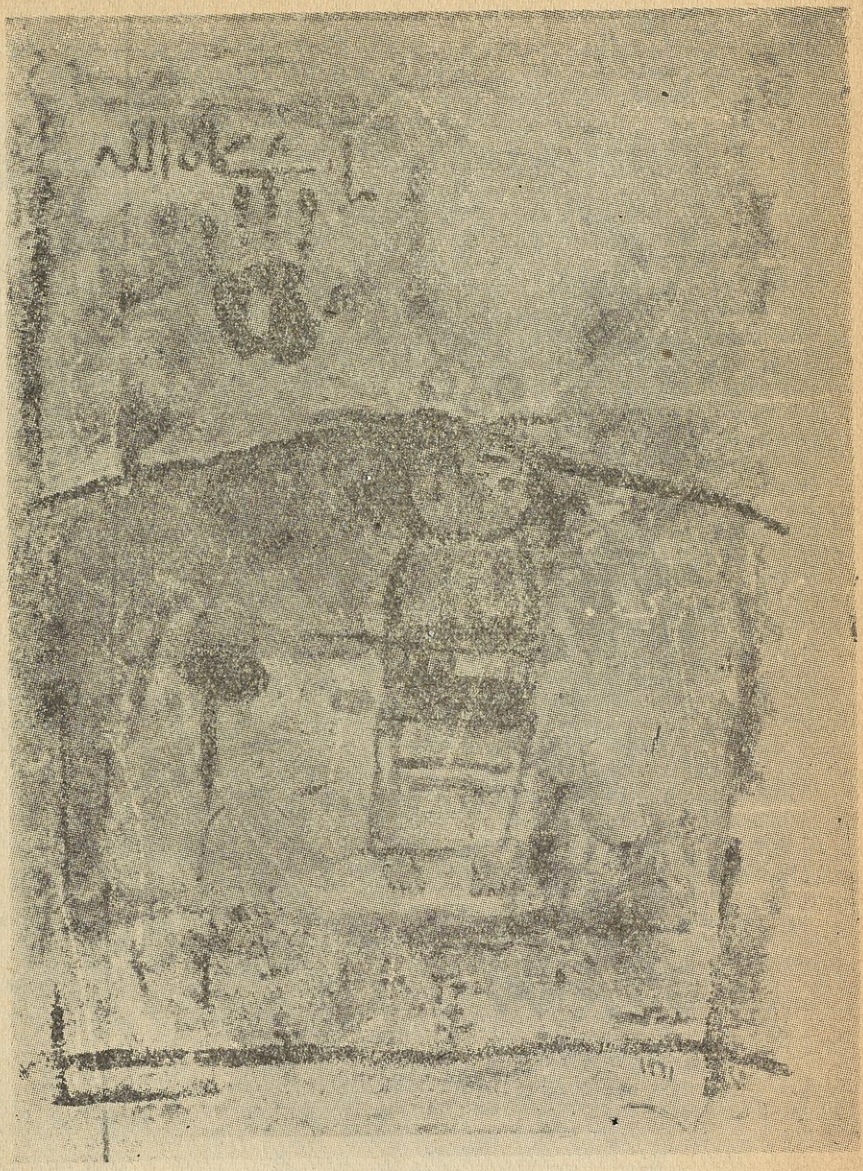
ما شاء الله

يخيم الضباب على المدينة كأنه كفن .. وانا قادم من مكان ما في هذا العالم .

ـ ماذا تريد ان تفعل في المدينة ؟

ـ سأعالج جوعي .

ـ تريد ان تسكت جوعك في المدينة ؟

ـ نعم .

بدت المدينة لاول وهلة ، معدة فارغة كخابية هجرها نبيذها منذ لحظات ، وبدا الناس .. السنة جافة ممدودة في الطريق كأنها اكف الشحاذين ، وحتى الشوارع كانت كأقبية بغداد الرطبة .. يفرون اليها من وهج الشمس لكنها لا تقي من الحر .

كان في جيبي منديل مطرز : هدية حبيبتي الزيتية العينين ، امسح به عرق الجوع وعرق الشبع ، ومرآة صغيرة

تحملني الى مجاهل وجهي الصحراوي القسمات ، وصورة امرأة عارية ، وقلم بلا مداد ، وسجائر تبغها رديء يقتل الشهية للطعام .

كنت جائعا : فما مفتوحا .

طفت شوارع المدينة ومطاعمها وازقتها وحدائقها . اكلت . رأيت آلاف الافواه وهي تزدرد الطعام بنهم .. كأنها تفطر بعد صيام دام الف عام ، ولما تعبت .. وقفت في ركن أحدق بمرآتي الصغيرة : بدوت كمسيح صغير يحمل صليبا مغروسا في معدته .

ـ ما ازال جائعا ، فما مفتوحا .

ـ الم تأكل منذ لحظة ؟

ـ اكلت .

ـ لماذا لم تشبع اذن ؟

ـ لست ادري . لعلي لم ادفع ثمنا مناسبا .. للشبع .

كان الحر يطوق المدينة .. كأنه شال امرأة ، وانا قادم من مكان ما في هذا العالم .

ـ ما الذي يغريك في مدينتنا ؟

ـ نساؤها !

ـ نساء مدينتنا بالذات ؟

ـ لست ادري • تعجبني عيون النساء التي يستوطن فيها عذاب قرون قديمة •

بدت النساء بثوابهن الصيفية الحارة ، واحيانا بملآتهن السوداء •• كمردة الحكايات ، وكانت اجسادهن المعبأة بالسواد تترنح ، وعيونهن خلف المناديل او خلف الاهداب •• ميتة • عجبت • احترت من اختار ، وكيف •• وفي ركن بشارع مظلم ، ولكنه حار ، نادتني عينان ذليلتان من وراء اهداب طويلة صناعية • ذهبت باحساس من يملك العالم • دخلت دهليزا رطبا ، وباشارة من اصبع شفافة تمددت على سرير حديدي اخرس ، ورحت احدق في كل الاشياء التي تضمها العلبة الصغيرة •

ـ هيا •

وكقمر مريض يخرج من بين الغيوم خرجت المرأة ذات العينين الذليلتين من سوادها •• جميلة ، دمية جميلة خيل الي انها مصنوعة صنعا جيدا ، فلم تقل كلمة واحدة ، او يهتز لها هدب •

قلت لنفسي :

ـ ماذا اصنع بالدمى ؟

وقمت بلا تردد فاجتزت الدهليز الرطب ونفذت الى

الشارع المظلم الحار ، ثم طوقتني الشمس فشعرت بان الحر ينفذ الى دمي ، وانني منته فجأة الى الاستسلام للقرص الملتهب المتسلط بكبرياء على المدينة .

ـ هل اعجبتك النسوة في مدينتنا ؟

ـ كلا .. نعم ..

ـ لماذا كلا ، ثم ، لماذا نعم ؟

ـ لا استطيع ان اتكلم الآن . انني جائع ، فم مفتوح كما ترى ..

كانت الريح تطوف بالمدينة كأنها ضيف ساعات الليل الاخيرة ، وانا قادم من مكان ما في هذا العالم .

ـ أأنت بردان ؟

ـ برد هذه المدينة لا يطاق .

ـ لماذا لا تعود من حيث اتيت ؟

ـ افكر الآن في مأوى حتى تهدأ الريح ، هل اجد لديك مكانا صغيرا .. عرضه متر لا اكثر ؟

ولم احظ بجواب . وكنت قد فكرت منذ البدء في الالتجاء الى منزل ما من منازل المدينة التي اقفلت عيونها تتقي هجمات الريح . طرقت الابواب وانا احلم بمدفأة .. حطبها يميت

البرودة ، وبوجوه واذرع تحتضن الغريب القادم من مكان ما ، بعيد في العالم ، لكنني لم أجب . كانت الابواب خرساء وكأنها ابواب قلعة مهجورة .

وبكيت وانا التجىء الى جدار في الشارع :
كنت كزهرة استوائية قدر لها ان تنبت في القطب .
ـ بردان ما ازال ، لكن الريح هدأت .
ـ في منازل المدينة يشيع الدفء ، فلماذا لم تدخل ؟
ـ اوصدت الابواب في وجهي .
ـ انت بردان اذن ؟
ـ وجوعان
ـ لا يطفىء برد المدينة الا الشبع !

كان السأم يحلق مع الذباب في المدينة .. كأنه يدخل في تركيب هوائها ، وانا قادم من مكان ما في هذا العالم .

ـ ماذا تريد ان تفعل ، الآن ، في المدينة ؟
ـ سأحاول ان اقتل الذباب
ـ كيف ؟
ـ باللهو ..
كانت اضواء المدينة تتلألأ .. كأن المدينة شجرة مشمش

كبيرة في الربيع ، ودور السينما تمتص الناس ، والملاهي تعلن عن بضاعتها ، وباعة الصحف والمجلات يملأون الشوارع نداء ، وقاعات الشاي ترحب بالعشاق ، وموائد الخمر .. اكواب ملأى واكواب فارغة ، ودور الكتب .. رفوف تنتظر روادا .

كان كل هذا يغري بالمحاولة : أن اقتل الوحش الذي يلتهم المدينة : الملل . وضعت ابتسامة على شفتي ودخلت دارا للسينما . عشت فيها ساعتين مع بطل تتعلق مصائر العشرات بفوهة مسدسه ، وشاهدت راقصات عاريات في ملهى ، يرفعن سيقانهن ببلادة على نغمات موسيقى معقدة ، وقرأت عشرات الصحف والمجلات في دقيقة : وجالست ركنا مظلما في احدى قاعات الشاي الدافئة ، وشربت زجاجة كاملة من الخمر ، واستعرضت اسماء جميع الكتب في جميع المكتبات ، وعندما دهست سيارة تسير بسرعة مذهلة بائع الكعك الصغير شعرت ان كل ما فعلت تافه ، عبث ، وانني فريسة هذا الشيء المحلق مع الذباب في المدينة ، يأكل اوقات الناس ، حياتهم .

- هل قتلت الملل ؟

- قتلني

- افعل شيئا ما ..

- الذباب يتكاثر بسرعة عجيبة ..

كانت الاصوات ذات الاصداء تملأ المدينة .. كأنها نفير يدعو للحرب ، وانا قادم من مكان ما في هذا العالم .

- ايعيش الصوت في اذنيك ؟

- انني احاول ان افتح اذني جيدا .

- يجب ان تفتح قلبك ..

- قلبي مفتوح ، ولكنني اريد ان اسمع الصوت اولا .

كانت المآذن والكنائس ، بابنيتها النظيفة ، تحاول ان تثبت شيئا ما للناس : القطيع الذي يفكر بقدميه ، وكان الناس يغشونها بفعل العادة ، يدخلون باجساد انهكها المعاش اليومي ، ويخرجون كما دخلوا . حاولت ان ادخل بجسد مرتاح .. وان اخرج بذهن مرتاح .. ولقد راعني ان الصوت ضعيف ، وان قلبي على شدة قلقه وتحفزه .. لم يستقبل بقايا الصوت .. او حتى اصداءه ، وهكذا همت على وجهي في احشاء المدينة افتش عن القلوب التي تصل اليها الاصوات ..

تعبت قدما هذا القادم من مكان ما اثناء طوافه .. في المدينة . فلماذا لا يستريح : يهجر المدينة هجراناً أبديا ، او يطأطىء الرأس .. ويعيش ؟

لماذا يظل كزهرة استوائية نبتت على ضفاف القطب ؟

خيط من الريح

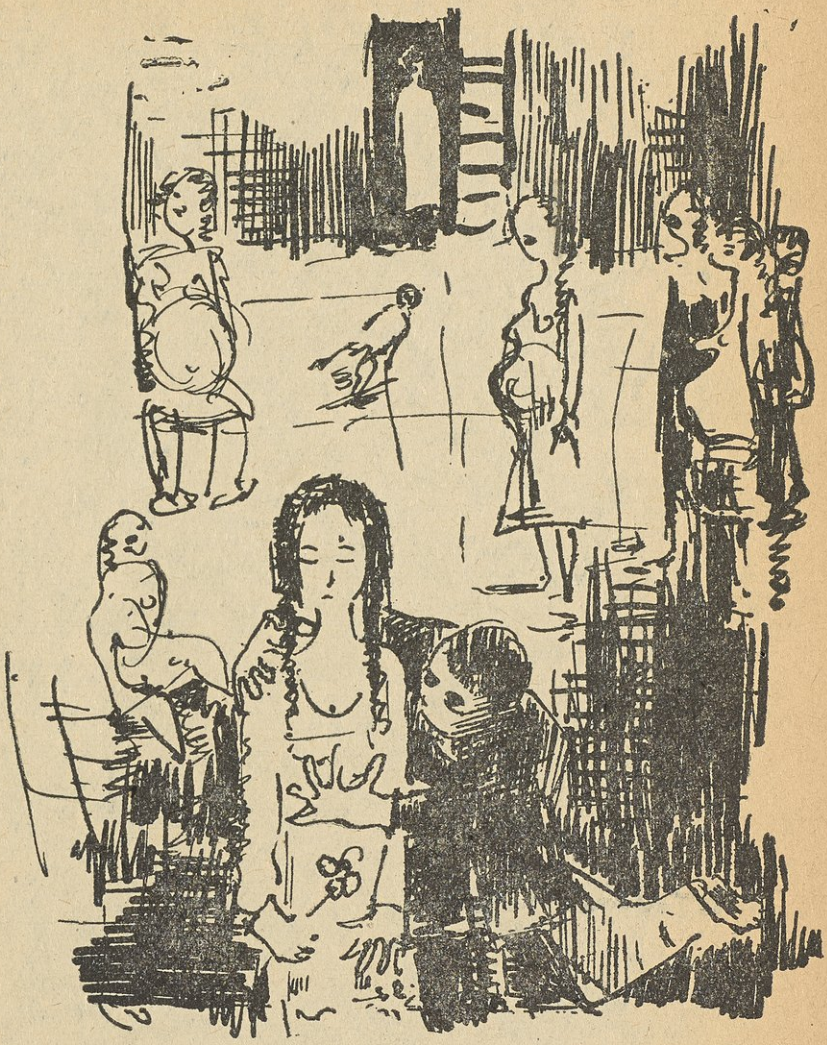

الوجوه مختنقة بالالم المكبوت ، والزقاق قصير ، والاسماء غريبة .

وجئناه .. كان يحبنا ، أمـا كنت تحبنا ؟ وقـام يأخذ الاكف يصافحها ، نحن نعرف ان تودك غريب ، بلا ظلال ، وان الاشياء التي تخنق نموها قد علمتك كيف تخاف الناس ، وكيف تأخذ الاكف .. تصافحها في حرارة مفتعلة ، وكأن رائحة الشاي الذي قدمته .. لم تنسنا شيئا ، وانما نبهتنا الى كل شيء ..

أنا ، لم أرك ولم ار وجهك اول الامر ، ولكنها رأتك وقالت لي همسا :

ـ امرأتان تنتظرانه ..

وكانت الرائحة مقرفـة ، والصبيتان المنتظرتان غائرتي الوجنات . باديتي النحافة ، وكنت لا تقوى على أن تقول الكثير ،

لانهن يتهافتن عليك ، يردن لو تفعل سريعامن اجلهن • ومرت بجانبك ، فدست في راحتك شيئا ، واخذته مساوما :

ـ كثير ••

ـ نأخذ اكثر عادة ••

وجفلت الاهداب المثقلة بالهواجس السوداء ، ثم تكاتفت علامة الاستسلام ولا شيء غير التسليم !

وجاء دور احدى الصبيتين ، وكان يطمئنها ، وان بدت في عينيه أشياء قلقة ، لم يمسكها عن الخروج انشغاله في مزج الدواء المرتقب ••

ودفع الينا بقدحين من الشاي الساخن وهو يقول :

ـ ربع ساعة فقط •• ولا شيء يستحق الدموع !

وما تكلمت ، ان لساني ينكمش دائما من الاشياء الساخنة ، والشاي ساخن ، ولكن كلماتها كانت تخمرت في رأسي أشد سخونة ، واكثر تعقيدا ••

ورحت انظر الى وجهها الحزين المكفهر •• الحلو •• كانت قالت لي :

ـ اليك ما فعلت •• وسبعة شهور باقية لن تطول ، وسوف تظهر على حقيقتك !

ولقد نظرت الى موضع معين من جسدها •• فما رأيت

شيئا وانما خيل الي ان انسانا جديدا يتكون ، وان الوجه قد اكتمل ، يلم الابتسامة البريئة ليدفعها في كلمة صغيرة :

ـ بابا !

وشملني فيض من الخوف المفاجىء .. ان اكون أبا ، فذلك ما لم يكن يخطر لي على بال ، وغير ذلك فهي تتوجع .. واشياء جديدة تضغط على جدران معدتها !

وهمست وجلا :

ـ أتعرفين أحدا ؟

وكانت تعرف ـ لا أدري كيف تعرف ـ لانها أخذتني الى زقاق قصير .. وسخ ، وضغطت بسبابتها على جرس البيت الاخير .. جرس بيتك .

ودبت الطمأنينة في اعصابي عندما دخلت ، وان كنت قد تشنجت من التفكير في البطن المكور الذي سينطفىء وفي صدرك الذي سيضم سرا آخر ، لو اتيح له ان يفتضح ويمشي على أفواه الناس لكان اسما جميلا لطفل رائع .. كامل .

وبدا لي وجهك ناقصا غير مكتمل ، وفرحت لانني تصورت لك عذابا كثيرا .. لا يحتمل ، حتى تمثلتك تقوم في حلكة الليل مذعورا على أصوات ، لا تتبين مصدرها ، وان كنت تعرف انها صادرة عن بطون قد عملت فيها .. كثيرا .

كان يجلس الى الجانب الآخر امرأة صغيرة ، عيناها واسعتان ، وكنت اتلهف الى أن أقول لها شيئا ، ذلك لان الذبح يعمل حثيثا في دماغي ، ولان الشفاة الدقيقة التي تخيلت انها تهمس :

ـ بابا .. بابا !

قد كبرت في عتمة تفكيري فاستحالت الى اشياء غليظة تنهش من العضلة الصغيرة التي ما زالت تنبض في جنبي الايسر ..

وسألت المرأة :

ـ ستفعلين ايضا ؟

فأجابت :

ـ **فعلت ذلك مرارا !**

وركض تفكيري الى كومة اللحم المبصوقة .. المغمسة بالدم الاسود ، العينين والانف .. والجسد كله ، أما كانت هذه الاشياء الدقيقة الصغيرة تبدو رائعة لو كان القلب ينبض ؟

بعد لحظة واحدة ، ستضيع معالمي التي زرعتها في هذه الصبية الصغيرة الحلوة الشاحبة فهي ستدخل ، وفيها شيء مني ، فيها لوني .. وجهي .. استمرار تاريخي لتلقي بكل شيء في قمامة ملوثة .. بدموعها ايضا .

ووجدتني اعض شفتي .. ولكن المرأة ذات العينين الواسعتين كانت تضحك بسرعة وحسرة حتى انها قالت لي ، وهي تضحك :

ـ سمه .. لقد اسميت اثنين قبل ان اسقطهما !!

وبصقت من القرف ، وان كانت الاسماء قد تزاحمت في ذهني ، كثيرة ، حلوة .. ما اجمل ان اسميه لياديه الناس .

وقالت التي معي :

ـ انني خائفة ..!

فأجابتها الاخرى ، ذات العينين الواسعتين :

ـ ما من خوف ..

واخذ وجهها يقص علينا حكاية الزوج الذي لا يحب الاولاد .

وخرجت الصبية الاخرى من غرفتك صفراء ، تلهث بلسان متدل كلسان كلب مسعور ، وقلت لها :

ـ سيسقط خلال ساعات !

وحاولت ان تبتسم ، ولكنك لم تستطع ، فأومأت باصبعك الى التي معي ، تريد منها ان تدخل ..

وقامت .. وتراءى لي خلال خطواتها المتثاقلة خيط من

الدمع ، مسفوح ، وتخيلت الجنين الذي سيسقط كبيرا بين ذراعي ، يناديني :

- بابا .. بابا !

فلم استطع الا ان اسفح خيطا مماثلا من الدمع .

ووصلت الى باب غرفتك ، فاستدارت ، كأنها تريدني أن اخترق الحواجز فأرى الولد .. ولدي ، قبل أن يموت ، وما عاش ليموت ، وهمت لتقول لي :

- انني أرضى بالهوان ، بالفضيحة ولن أفرط فيه !

ولكنها لم تفعل ، وانما وضعت عينيها في عيني ..

لقد كانت عيناها تغليان ، فأثبت عيني في وجهها المريض ، أحدق في كل جزء من أجزائه .

ورأيتك تنظر اليها كمن يستنجد بها علي ، فأنت تحب ان يمضي الامر بسرعة ، كي تكون الوطأة أقل على صدرك ، ونقلت نظري الى الغرفة المليئة بالادوية .. المفتوح بابها على مصراعيه .. ان هذه الغرفة لسوف تشهد ميتة جديدة عجيبة ، فستمتد يداك الي لتخنقني ، لتميتني ميتتي الاولى ، الميتة التي ستعذبني الى الابد ..

ورأيت شفتيها تختلجان .. انها تريد ان تقول شيئا ، فضغطت على ذراعها بقوة ورفعت رأسي استعدادا لمجابهة الدنيا

وأبيها والاخلاق .. بما فعلت معها ، بابني الذي لن تخنق نموه يداك الملوثتان ..

لقد بدا عسيرا علي أن أحفر في صدري قبرا صغيرا لطفل ، كان من الممكن ان يكون له اسم جميل ، ولعب وصوت رقيق يناديني به كل حين :

ـ بابا .. بابا !

فيضحك الاب .. اضحك انا ، وانهال بالقبلات على الوجه الصغير ، حتى تغار الام الصغيرة الحلوة .

وخرجت ..

وعلى عتبة الباب ، سمعنا المرأة ذات العينين الواسعتين تقول لك :

ـ آه ، لو كان لي زوج مثله .. يحب الاولاد !

منشورات الفن الحديث العالمي
طبع على مطابع الجمهورية بدمشق

المحتوى

كلمـــة صغيرة ..... صفحة ٧

أحلام مراهق شرقي ..... صفحة ١٧
دمـوع كاللؤلؤ ..... « ٢٥
أســطورة ..... « ٣٧
برجوازي ..... « ٤٥
أحزان الرجل الصغير ..... « ٤٩
سحابة بلا وطن ..... « ٦٩
الرحيـل ..... « ٧٧
الحصـاد ..... « ٨٧
حب صغـير ..... « ٩٥
زهرة استوائية في القطب ..... « ٩٩
خيط من الدمع ..... « ١٠٩

شكر ..

من واجبي ان اشكر الفنانين الذين أسهموا في تزيين هذه المجموعة القصصية .. بلوحاتها ، فلقد كانوا في مستوى من الفهم ، جيد ، عندما رأوا الى علاقة الادب بالفن ، وما تفعله اللوحة من القاء حزمة ضوء على مضمون القصة ..

كتب صدرت للمؤلف

عـــالم ولكنــه صغير — **مجموعـــة قصص**

مطبعة الجمهورية عام « ١٩٥٧ »

الفصـــل الجميـــل — **مسرحية للاطفـال**

دار الثقافـــة « ١٩٦٠ »

زهرة استوائية في القطب — **مجموعـــة قصص**

صالة الفن الحديث « ١٩٦١ »

كتب تصدر للمؤلف

الثوار مروا ببيتنا — **مجموعـــة قصص**

وزارة الثقافة والارشاد القومي

لقـــــاءات — **مقابلات ادبية وفنية**

الحب القـــديم — **مجموعـــة قصص**

صدر عن الفن الحديث العالمي الكتب :

عندما يجوع الاطفال	مجموعة قصص	صميم الشريف
زهرة استوائية في القطب	مجموعة قصص	عادل أبو شنب
الفن عبر التاريخ	قضايا فنية	عفيف بهنسي

يصدر عن الفن الحديث العالمي قريبا :

١ ـ ديوان شعر للشاعر : محمد الحريري

٢ ـ مجموعة قصص للقاص : فاتح المدرس

٣ ـ مجموعة قصص للقاص : ميلاد نجمة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ثمن النسخة في الاقليم السوري « ١٥٠ » قرشا
« « « البلاد العربية ما يعادله

8114
PB-33188
5-25
cc

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

NYU - BOBST
31142 01242 6048
PJ7808.S57 Z3
Zahrah ist

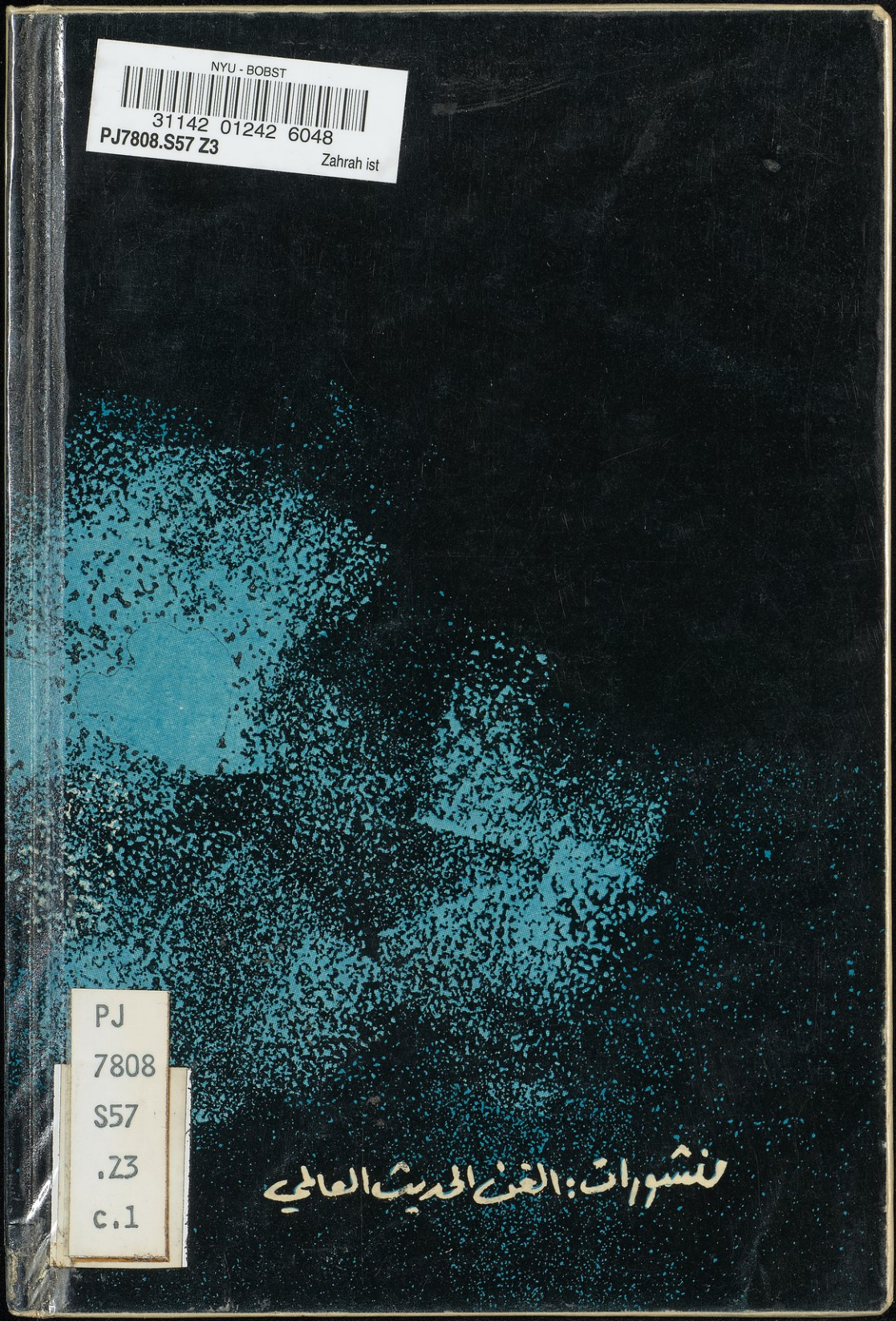

PJ
7808
S57
.Z3
c.1

منشورات: الفن الحديث العالمي